ملف المستقبل

د. نبيل فاروق

س - 18



ملف المستقبل ..

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسريّة مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقّة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدةّ من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

1 ـ انفجار ..

كما هو الحال ، منذ ملايين السنين ، بدا كل شىء هادئـًا منتظماً ، عند الأطراف البعيدة لمجموعتنا الشمسية ..

الكواكب تجرى فى مداراتها ..

الأقمار تدور حول كواكبها ..

الكويكبات والمذنبات والنيازك تجوب الفراغ السرمدى ، فى إيقاع رتيب ، منظّم ، يعلن عن عظمة وحكمة الخالق (عزَّ وجلَّ) ، فى كل ثانية تمضى ..

ثم فجأة ، ظهر ذلك الجسم من بعيد ..

جسم لامع ، متألّق ، اخترق المجرّة كلها ، فى خط مستقيم ، متفاديًا ، فى دقّة مدهشة ، كل ما يمكن أن يعترض طريقه ، وهو يشق مساره ، نحو هدف بعينه ..

هدف يحتلّ الموقع الثالث ، بعدًا عن الشمس ، فى منظومتنا الرائعة ..

نحو كوكب الأرض مباشرة ..

ومع الزمن الذى استغرقه ، من أطراف المجرّة ، وحتى كوكب (بلوتو)(*) ، بدا من الواضح أنه ينطلق بسرعة تقارب سرعة

(*) (بلوتو) أو (بلوتون) : أبعد كوكب للمجموعة الشمسية ، كشفه (كلايد ويليام تومبو) عام 1930م ، معتمدًا على دراسات (برسيفال لويل) (1914م) ، حول وجود اضطراب فى مسارى (نبتون) و(أورانوس) ، ويتميز كوكب (بلوتو) بمسار يختلف تمامًا عن المسارات المركزية ، لباقى المجموعة الشمسية ، إذ يبلغ اختلافه عنها 25٪ من المحور ، مما يجعله الأقرب إلى الأرض ، فى بعض نقاطه .

الضوء ، مما جعله يبدو أشبه بشعاع مضىء ، وهو يمرق إلى جوار (أورانوس) ..

وعبر المنظار الفلكى الهائل الجديد ، فى مرصد (حلوان) القديم ، رصد أحد العلماء خط الضوء هذا ، فغمغم فى دهشة ، وهو يراجع إحداثيات الكمبيوتر :

ـ عجبًا ! أية ظاهرة فلكية تلك ؟!

ألقى زميله نظرة عبر المنظار ، قبل أن يرتفع حاجباه بدوره ، وهو يقول :

ـ إنه ليس مذنبًا ، وليس ..

بتر عبارته بغتة ، ليهتف بكل دهشته :

ـ يا إلهى !

أسرع رفيقه يلقى نظرة بدوره ، ويقول فى حيرة :

ـ أين ذهب ؟!

تراجع الثانى ، بكل حيرة الدنيا ، وهو يقول :

ـ هذا ما أثار دهشتى وحيرتى للغاية .. لقد كنت أرصده فى وضوح ، وهو يقترب من كوكب (المشترى) ، عندما اختفى بغتة وسط الفراغ ، كما لو أنه قد تلاشى تمامًا .

وهزَّ رأسه فى قوة ، مضيفًا :

ـ ودفعة واحدة .

راجع الأوَّل إحداثيات الكمبيوتر مرة أخرى ، وهو يغمغم :

ـ ربما ..

ولم يكمل عبارته ..

بل إنه حتى لم يحاول ..

فالواقع أنه لم يكن لديه تفسير منطقى أو علمى واحد لما حدث ..

فذلك الشىء الذى رآه ، أيًّا كانت ماهيته ، لا يمكن أن يختفى أو يتلاشى فجأة ، على هذا النحو ، وسط الفضاء ..

هذا لم يحدث أبدًا من قبل ..

ولم تسجله أية متابعة للظواهر الفضائية ، منذ ظهور علم الفلك ، أيام (بابل) القديمة ، وحتى تلك الفترة المتقدِّمة ، من القرن الحادى والعشرين ..

ولكن المؤكَّد أن العلم الحديث سيجعل الأمور تختلف .. تختلف كثيرًا ..

هذا ما جال بخاطر الأوَّل ، وهو يشير إلى الكمبيوتر ، قائلاً فى حماس :

ـ من حسن حظنا أن الكمبيوتر قد سجَّل كل ما رصدناه .

تطلَّع الثانى إلى الكمبيوتر بدوره ، وهو يقول فى حذر :

ـ ولكنه لم يستطع تفسير الظاهرة .

قال الأوَّل ، بنفس الحماس :

ـ الكمبيوتر يراجع ما يرصده ، على كل الحالات المسجَّلة فى ذاكرته ، ويقارن بعضها ببعض ، لتفسير أية ظاهرة جديدة ، ومن الواضح أن ما سجله الآن ، لا يتوافق مع أية معطيات لديه .

غمغم الثانى ، فى حذر أكثر :

ـ بالضبط ، وهذا يعنى أن ..

قاطعه الأوَّل ، وهو يواصل بحماسه :

ـ ولكن هذا ليس الأمر الوحيد ، الذى يمكن الاستفادة من الكمبيوتر بشأنه .

سأله الثانى ، وقد امتزج حذره بالكثير من الحيرة :

ـ ماذا إذن ؟!

بدأت أصابع الأوَّل تعمل ، على أزرار لوحة الكمبيوتر ، وهو يجيب :

ـ يمكنه أيضًا أن يعيد عرض ما سجله ، بسرعة أبطأ ، بحيث نستطيع متابعة مزيد من التفاصيل .

ظهر العرض المسجَّل على شاشة الكمبيوتر بالفعل ، والرجل يتابع فى حماس :

ـ مما قد يساعدنا على فهم الظاهرة .

راح الكمبيوتر يعرض ما سجله ، بسرعة تقل بأربع مرات عن سرعة الحدث الفعلى ، والرجلان يتابعان المشاهد فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول الثانى فى توتر :

ـ ما زال الأمر يبدو أشبه بشعاع من الضوء ، بلا بداية ولا نهاية .

ضغط الأوَّل الأزرار مرة أخرى ، قائلاً :

ـ ربما لو خفضنا السرعة أكثر .

انخفضت سرعة العرض بالفعل ، إلى عُشر السرعة المسجَّلة ، وتابع الرجلان المشهد فى اهتمام أكبر ، قبل أن يقول الثانى فى تردُّد ، وهو يشير إلى طرف خيط الضوء :

ـ هذا يبدو لى أشبه بجسم مستدير .

قال الأوَّل فى حماس :

ـ هذا صحيح .. إنه جسم معدنى لامع .

غمغم الثانى فى انفعال :

ـ نعم .. جسم مستدير .

ثم اعتدل بوجه شاحب ، مضيفًا :

ـ جسم لا يمكن أن يكون نتاجًا طبيعيًا .

وهنا فقط ، بدأ الأول يشعر بقلق جارف ، وهو يتساءل :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

بدا صوت الثانى أكثر شحوبًا فى وجهه ، وهو يشير إلى ذلك الجسم اللامع ، فى طرف خيط الضوء على الشاشة ، قائلاً :

ـ أعنى أن ذلك الشىء ليس نيزكًا ، أو مذنبًا ، أو أى تكوين طبيعى آخر .. إنه جسم مصنوع بإتقان ، ويندفع بطاقة محرّكة قوية .

وامتقع وجهه أكثر وأكثر ، مع انخفاض صوته الشديد ، وهو يتابع :

ـ جسم صنعته عقول عاقلة متفوّقة .

سرت قشعريرة باردة فى جسد الأوّل ، وهو يقول ، وعقله يستعيد ذكرى الاحتلال البغيض لكوكب الأرض(*) :

ـ جسم صناعى .. ويتجه نحونا ؛ بهذه السرعة الخرافية ؟!

أشار الثانى إلى شاشة الكمبيوتر ، متسائلاً فى توتر :

ـ قل لى : إلى أى حد يمكن أن تنخفض سرعة العرض هنا ؟

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (76) ، من سلسلة ملف المستقبل (روايات مصرية للجيب)

أجابه الأوّل فى سرعة :

ـ إلى واحد على ثلاثين من السرعة الأصلية .

قفزت أصابع الثانى إلى لوحة أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول فى حزم متوتر :

ـ دعنا نخفض العرض إلى السرعة الأدنى إذن .

مع ما صنعه ، بدأ العرض مرة أخرى ، بتلك السرعة شديدة الانخفاض ، وتعلّقت به عيون العالمين ، فى انتباه كامل ، و ...

وفى هذه المرة ، بدا ذلك الجسم اللامع المستدير واضحًا .. بل شديد الوضوح ..

وانتفض جسدا العالمين بمنتهى العنف ..

فما رأياه أمامهما فى وضوح ، على شاشة الكمبيوتر ، كان ينذر بخطر رهيب ، يتهدّد كوكب الأرض كله ..

رهيب للغاية ..

* * *

« فلنبدأ الاحتفال .. »

هتف (أكرم) بالعبارة فى مرح ، وهو يحمل (طارق) الصغير ، ويطبع على خده قبلة حانية ، ثم تابع ، وهو يلتفت إلى زوجته (مشيرة) ، رئيسة تحرير (أنباء الفيديو) :

ـ ألم يحن الوقت بعد ، لنضيف إلى حياتنا تحفة جميلة كهذه ؟!

لوَّحت (مشيرة) بذراعها كلها فى حدة ، هاتفة :

ـ لا .. لا أطفال فى الوقت الحالى .

ثم انتبهت إلى حدتها غير المنطقية ، فتراجعت مستدركة فى توتر :

ـ لم يحن وقت تكوين أسرة بعد .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف ، فى شىء من العصبية :

ـ ليس قبل أن أشعر بالاستقرار الحقيقى .

إرتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة لقولها ، وهمَّ بإجابته ، لولا أن تدخلت (سلوى) ، قائلة فى سرعة ، فى محاولة لتلطيف الموقف :

ـ ما زلتما تبدوان كعروسين جديدين يا (أكرم) ، فلا تتعجَّل هذه الأمور .

وضحك (نور) ، مضيفًا :

ـ ثم إن إنجاب الأطفال يعد مغامرة حقيقية ، وتربيتهم تفوق أية مخاطرة خضناها ، حتى هذه اللحظة .

أطلق (رمزى) ضحكة عالية ، تؤيِّد قول (نور) ، فى حين احتضنت (نشوى) ابنها (محمود) الصغير ، وهى تقول بابتسامة حانية :

ـ لست أذكر أننى شعرت بمثل هذا القلق ، فى أية مغامرة سابقة .

نقل (أكرم) بصره بينهم ، وبين زوجته (مشيرة) ، قبل أن يحيط كتفيها بذراعه ، وهو يقول :

ـ ولكنكم تعلمون جميعًا كم أعشق المغامرة .

استدارت إليه (مشيرة) بحركة حادة ، وهمَّت بقول شىء ما ، عندما انطلق أزيز مباغت من ساعة (نور) ..

أزيز ألفه الجميع منذ زمن ، وارتبط فى أذهانهم بمعنى واحد ، جعل (مشيرة) تهتف فى مزيج من الحماس والتوتر ، وهى تلتفت إلى (نور) :

ـ إنها مهمة جديدة .. أليس كذلك ؟!

لم تكن عبارتها قد اكتملت بعد ، عندما انطلق أزيز ساعة (أكرم) أيضًا ..

ثم ساعة (سلوى) ..

و(نشوى) ..

و(رمزى) ..

ولأوَّل مرة ، فى حياتهم كلها ، امتزج أزيز ساعاتهم الاستدعائية الخاصة ، وتضافر ليصنع دويًّا عجيبًا ، انعقد معه حاجبا (نور) ، وهو ينقل بصره إلى رفاقه ، قائلاً فى توتر :

ـ هذا ليس أمرًا طبيعيًّا ..

تحسَّس (أكرم) مسدسه بحركة غريزية ، وهو يقول فى توتر عصبى :

ـ بالتأكيد .

ولم يكد يتم كلمته ، حتى اشتعل التلفاز الكبير بغتة ، وانطلق جهاز الإنذار عند المدخل ، ثم أضيئت كل الأنوار الإلكترونية في المنزل دفعة واحدة ، فصرخ (طارق) الصغير في فزع ، ودفن (محمود) الصغير رأسه في صدر أمه ، وراح ينتحب في ذعر ، في حين صاحت (سلوى) :

ـ ما الذي يحدث بالضبط ؟!

انفرجت شفتا (نور) ؛ لينطق شيئًا ما ، و ...

وفجأة ، دوى ذلك الانفجار ..

انفجار عنيف ، مكتوم ، بدا وكأنه قد انطلق من أعمق أعماق الأرض ، وارتجّ معه المنزل كله في عنف ، على نحو لم يحدث من قبل ، فصرخت (نشوى) و(مشيرة) ، وأطلقت (سلوى) شهقة قوية ، وانفجر الصغيران في البكاء ، وفقد (رمزى) توازنه ، وسحب (أكرم) مسدسه ، وهو يصرخ ، في عصبية شديدة :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

تماسك (نور) بكل قوته وإرادته ، مع سيطرته المدهشة على أعصابه ، وهو يقول في حزم :

ـ أعتقد أنه أمر يحتاج إلى تدخلنا يا رفاق .

هتفت (مشيرة) ، في انفعال جارف :

ـ وإلى تغطية صحفية شاملة أيضًا .

تجاهل (نور) قولها تمامًا ، وهو يلتقط مسدسه الليزرى ، ويدسّه في حزامه ، قائلاً :

ـ فلنتحرك على الفور يا (أكرم) .

هتفت (نشوى) في توتر :

ـ هل ستذهبان وحدكما ؟!

أجابها في حزم :

ـ نحتاج أولاً إلى معرفة ما حدث ، قبل أن يتحرك الفريق بأكمله .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ ثم إنه من الضرورى أن يبقى من يرعى الصغيرين .

قالها ، وهو يندفع مع (أكرم) خارج المنزل ، و(مشيرة) تحاول اللحاق بهما ، هاتفة :

ـ ولكنكما ستخبراننا بما ستجدانه .. أليس كذلك ؟!

استدار إليها (أكرم) ، وهو يواصل اندفاعه ، نحو سيارة (نور) ، وقال في عصبية :

ـ إذا ما كان هذا متاحًا .

قالها ، ووثب داخل سيارة (نور) الصاروخية ، التى أدار هذا الأخير محركها بالفعل ، و ...

وفجأة ، وأمام عيون الجميع ، تألَّقت سيارة (نور) على نحو عجيب ..

وبكل ذعر الدنيا ، صرخت (سلوى) :

ـ ما هذا أيضًا ؟

ومع نهاية صرختها ، تضاعف تألُّق السيارة بغتة ، كما لو أن قنبلة من الضوء الصافى قد انفجرت فى قلبها ..

ثم تلاشى التألُّق دفعة واحدة ..

وتلاشت معه سيارة (نور) ..

بكل ما فيها ..

ومَنْ فيها ..

تلاشت ، دون أن تترك خلفها أدنى أثر ، أمام عيون الجميع ..

وأمام قلوبهم ، التى هوت بين أقدامهم ..

بمنتهى العنف .

* * *

2ـ الزائر ..

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، فى دهشة منفعلة ، وهو يغادر سيارته الرسمية ، فى تلك المنطقة من (القاهرة) القديمة ، التى أحاطتها قوات الجيش بعدد ضخم من الجنود والمعدات ، وانضم إليها فريق كبير من علماء مركز الأبحاث ، بأجهزتهم التكنولوجية الرقمية المتطوِّرة ، وتعلَّق بصره بذلك الجسم اللامع الضخم المستدير ، الذى استقر وسط الأطلال ، بتلك الملامح البشعة المحفورة على واجهته ، والتى جعلت قائد قوات الجيش يقول فى توتر ملحوظ :

ـ ما هذا الشئ فى رأيك ، يا دكتور (جلال) ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، فى حيرة عصبية ، قبل أن يجيب :

ـ لسنا ندرى بعد .. الشئ الوحيد المؤكَّد ، هو أنه مصنوع بتقنية عالية ، تؤكِّد أن صانعيه قوم متقدمون للغاية ، أيًا كانت هويتهم .

غمغم قائد القوات :

ـ هذا يبدو واضحًا .

تابع الدكتور (جلال) ، وهو مأخوذ بالمشهد ، وكأنه لم يسمعه :

ـ وهو حتمًا من خارج كوكبنا .

تنحنح قائد القوات ، فى محاولة لإزالة توتره ، أو تخفيف انفعاله الجارف ، قبل أن يقول :

ـ هذا أيضًا يبدو واضحًا ؛ فطوال عملى فى القوات المسلَّحة ، لم أشهد حتى ما يشبهه .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ بالنسبة لنا كعلماء ، الشكل الظاهرى لا يساوى شيئًا فى الواقع .

ثم أشار إلى الجسم اللامع الضخم ، متابعًا فى توتر :

ـ إننا نبنى آراءنا دومًا على قواعد علمية واضحة ، وهذا الجسم مصنوع من معدن غير أرضى ، واستخدام مقياس الطيف أظهر بعض الخطوط غير المعروفة ، وأحد فرقنا العلمية يسعى للبحث عن أية مشابهات فلزية ، مع عناصر أرضية معروفة ، نظرًا لاحتمال تكونّه من سبائك مركَّبة ، ثم تغيير مواصفاتها أو كثافتها ، أو ...

قاطعه قائد الفريق فى توتر :

ـ رويدك يا دكتور (جلال) .. عقلى لا يستطيع متابعة تلك التفاصيل العلمية ، وكل ما يعنينى منها تساؤل واحد .

وأشار بيده إلى الجسم ، مستطردًا فى صرامة :

ـ هل يمثل هذا الشىء خطرًا ما ، على أمن وسلامة الوطن ؟!

تطلَّع الدكتور (جلال) لحظة ، إلى الملامح البشعة ، المحفورة على ذلك الجسم الرهيب ، قبل أن يهزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ هيئته الرهيبة هذه يمكن أن توحى بهذا ، ولكن لا أحد يمكنه الجزم ؛ فهو رابض فى موقعه ، منذ هبوطه العنيف والسريع للغاية على كوكبنا ، ولقد اختلف علماؤنا حول نقطة هبوطه ، فالبعض يتصوَّر أن اختياره لمنطقة الأطلال القديمة ، غير المأهولة ، يشف عن حسن النية ؛ لأنه لم يعرِّض أية أرواح للخطر ، فى حين يصرّ المتشائمون منهم على أنه مجرَّد هبوط مدروس ؛ للانطلاق نحو المناطق العسكرية ، المتاخمة للحدود الفاصلة ، بين (القاهرة) القديمة والجديدة ؛ لتحقيق نتائج حاسمة ، عندما يبدأ ..

بتر عبارته بغتة فى تردُّد ، فسأله قائد القوات فى اهتمام قلق :

ـ عندما يبدأ ماذا ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ هجومه .

سرت ارتعادة عجيبة ، فى أواصل قائد القوات ، وهو يردِّد :

ـ هجومه ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتساءل فى عصبية ، محدقًا فى الخلقة البشعة لذلك الشىء :

ـ وهل تعتقد أنه سيفعل ؟!

عاد الدكتور (جلال) يهزّ رأسه فى بطء ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ..

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه لم يلبث أن تابع ، وتوتره يبدو أكثر وضوحًا :

ـ فريقنا يستقبل إشارات منتظمة ، تنبعث من داخله ، على نحو متناقص ، منذ هبط هنا ، وربما كانت مجرَّد إشارة ، للإعلان عن تقدم صانعيه ، أو ...

بتر عبارته مرة أخرى ، فهتف قائد القوات يستحثه :

ـ أو ماذا يا دكتور (جلال) ؟! أو ماذا بالله عليك ؟!

أطلق الدكتور (جلال) زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماق صدره ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ أو هى عد تنازلى ، لبدء الهجوم .

« لا هذا ولا ذاك يا سيِّدى .. »

انطلقت العبارة بغتة ، من بين شفتى أحد علماء الفريق ، الذى يتابع ذلك الجسم اللامع ، وهو يتجه نحو الرجلين ، اللذين التفتا إليه معًا ، وقائد القوات يتساءل فى لهفة :

ـ ما هى إذن ؟!

لوَّح العالم ببعض الأوراق فى يده ، وهو يقول :

ـ لو راجعت المنحنيات ، التى رسمها الكمبيوتر ، مع متابعته لتلك الذبذبات المنتظمة ، ستجد أن ما يفعله ذلك الجسم الغريب ، أشبه بعملية شحن .

هتف الرجلان ، فى آن واحد :

ـ شحن ؟!

أومأ العالم برأسه فى توتر ، مجيبًا :

ـ نعم يا سادة .. هذا الشىء ، أيًّا كانت هويته ، يقبع هنا منذ هبوطه على كوكبنا ، ليشحن نفسه بكل ما يحيط به ، من مصادر الطاقة .

انعقد حاجبا قائد القوات ، فى دهشة متوترة ، فى حين هتف الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ وكيف ؟! هل يمتصّ الطاقة مما حوله ؟!

عاد العالم يومئ برأسه ، مجيبًا :

ـ بالضبط يا سيّدى .

ارتفع حاجبا قائد القوات ، مع اتساع عينيه الشديد ، قبل أن ينتزع جهاز اتصال خاص محدود من حزامه ، ويهتف عبره ، موجّهًا أوامره إلى كل قواته :

ـ فليتم فحص مستويات الطاقة فورًا ، فى كل الأجهزة والمعدات .

تعلّق بصر الدكتور (جلال) والعالم به ، وهو ينتظر الجواب فى لهفة وتوتر ، حتى انبعث من جهاز اتصاله المحدود صوت أحد ضباطه ، وهو يهتف ، فى صوت واضح الدهشة :

ـ مستويات الطاقة منخفضة تمامًا .

ثم انبعث صوت ضابط ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

وكلهم كانوا يعلنون حقيقة واحدة مخيفة ..

لقد امتصّ ذلك الشىء بشع الخلقة ، الرابض وسط الأطلال القديمة فى صمت ، كل طاقة أسلحتهم ومعداتهم تقريبًا ..

حتى مسدسات ومدافع الليزر ..

كل الأسلحة فقدت طاقتها ..

وقوتها ..

وفاعليتها ..

وانتفض جسد قائد القوات فى عنف ..

واتسعت عيون العلماء والدكتور (جلال) عن آخرها فى ارتياع مذعور ..

واستدارت العيون كلها ، تحدّق فى ذلك الشىء الرهيب ..

ومع استدارتها ، توقّفت ذبذبة الشحن ، التى كانت تنبعث من ذلك الجسم الكروى الهائل فجأة ..

وتوقّفت معها كل القلوب عن الخفقان ..

وساد الأطلال القديمة صمت مفاجئ عجيب ، وكأنما توقّفت الأرض نفسها عن الدوران ، فى انتظار ما ستسفر عنه الأحداث ..

ثم ندت تلك الفرقعة بغتة ..

فرقعة قوية ، مخيفة ، انبعثت من ذلك الجسم اللامع ، الهائل ، المستدير ، على نحو انخلعت معه القلوب ..

كل القلوب ..

وفى بطء ، راح ذلك الجسم الكروى يهتزّ ..

ويهتزّ ..

ويهتزّ ..

ومع كل اهتزازة ، كانت سرعته تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

ثم فجأة ، انطلقت فرقعة أقوى ..

وأعنف ..

وأشد ..

ومعها ، ارتفع ذلك الجسم الكروى بغتة ..

لم يرتفع طائرًا عن السطح ، وإنما برزت من أسفله كتلتان مفلطحتان ، تعلوهما ساقان معدنيتان ، و ...

ونهض ..

نهض فجأة واقفًا ، على هيئة شخص آلى عملاق ، رأسه هو نصف الكرة العلوى ، بما عليه من ملامح بشعة رهيبة ، وجسده يتركّب من أجزاء النصف السفلى ..

وعلى الرغم من الرعب الهائل ، الذى ملأ القلوب والعقول ، تجمّد الكل فى أماكنهم ، كما لو أن قوة رهيبة قد سمّرتهم فى مواقعهم ، فى حين راح ذلك الشخص الآلى العملاق يدير عينيه الآليتين المخيفتين فيهم فى برود آلى مخيف ، قبل أن يرفع ذراعيه المعدنيتين أمامه ، و ...

ويبدأ الهجوم ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

لثوان ، بعد اختفاء سيارة (نور) و(أكرم) ، ظلّ الباقون جامدين ، محدقين فى نقطة الاختفاء فى رعب ، ثم لم تلبث (سلوى) أن انتزعت نفسها من هذا الجمود المذعور ، وهى تصرخ :

ـ يا إلهى ! (نور) ؟!

ومع صرختها ، انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، واندفعت نحو البقعة ، التى اختفت عندها السيارة ، صائحة :

ـ (أكرم) ؟! ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

ولكن (نشوى) أمسكت ذراعها فى قوة ، هاتفة :

– لا يا (مشيرة) .. لا ..

تملَّصت (مشيرة) من يد (نشوى) ، وهى تصرخ :

– اتركينى .. لقد اختفى زوجى أمام عينىَّ .. لابد وأن أعرف ماذا حدث ؟!

كانت تحاول الاندفاع نحو البقعة نفسها مرة أخرى ، فصرخت (نشوى) فى زوجها ، وهى تتشبَّث بطفلها :

– (رمزى) .. امنعها بالله عليك .

وصاحت (سلوى) ، فى توتر شديد :

– أوقفها ، قبل أن تفسد كل شىء .

وثب (رمزى) نحو (مشيرة) ، وأمسك كتفيها فى قوة ، هاتفًا فى صرامة :

– لا يا (مشيرة) .. لا تقتربى من تلك البقعة .

صرخت (مشيرة) ، وهى تحاول التخلُّص من قبضتيه القويتين فى عنف :

– اتركنى يا (رمزى) .. ماذا أصابكم ؟! ألن تفعلوا شيئًا ؟! هل ستقفون ساكنين هكذا ، وأنتم تفقدون قائدكم ، وأفضل رجالكم ؟!

ثم راح جسدها ينتفض فى عنف ، وهى تصرخ بكل قوتها :

– أنتم مجرَّد فريق من الفاشلين الجبناء .. فاشلون .. فاشلون .. فاشـ ..

استوقفتها صفعة قوية ، هوت على وجهها بمنتهى العنف ، فاتسعت عيناها ، فى مزيج من الدهشة والغضب ، وهى تحدِّق فى وجه (رمزى) ، قبل أن تصرخ مرة أخرى ، فى غضب ثائر مستنكر :

– كيف تجرؤ ..

هوى (رمزى) على وجهها بصفعة أخرى ، ارتجَّ معها كيانها كله ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وهتفت فى مرارة :

– كيف .. كيف ..

غصَّ حلقها بالدموع ، فلم تستطع إكمال عبارتها ، وأجهشت بالبكاء ، فربَّت (رمزى) على كتفها فى حنان ، قائلاً :

– معذرة يا (مشيرة) .. كان هذا ضروريًّا ؛ لإنقاذك من الإصابة بانهيار عصبى حاد ..

واقتربت منها (سلوى) ، واحتوتها بين ذراعيها ، قائلة ، وهى تحاول السيطرة على انفعالاتها :

ـ إنه زوجى أيضًا ، الذى اختفى أمام أعيننا يا (مشيرة) ، وهو والد (نشوى) كذلك ، ولكننا نعتصر الألم والحزن فى أعمق أعماق قلوبنا ؛ حتى لا نخسر كل شىء .

أضافت (نشوى) فى توتر ، وهى تشير إلى البقعة ، التى اختفت عندها السيارة ، مع (أكرم) و(نور) :

ـ إننا لا نعرف بعد ، كيف ولماذا اختفت سيارة أبى ، فى منطقة وقوفها ؛ لذا لابد وأن نتعامل مع الموقف بمنتهى الدقة والحذر ، واندفاعك نحو تلك البقعة ، قد يفسد دليلاً أساسيًا حاسمًا ، يمكن أن يكون الخيط الرفيع ، الذى يفصل بين عودة أبى و(أكرم) ، أو ضياعهما إلى الأبد .

حدّقت (مشيرة) فيها ، بعينيها الدامعتين ، قائلة بكلمات مرتجفة :

ـ لم يخطر هذا ببالى قط .

أجابتها (سلوى) فى سرعة :

ـ ولكنه أوّل ما يخطر ببالنا .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

ـ لأننا فريق علمى .

خفضت (مشيرة) عينيها ، وعادت الدموع تنساب على وجهها فى غزارة ، وهى تقول :

ـ هل .. هل تعتقدون أنهما سيعودان ؟

ازدردت (سلوى) لعابها فى صعوبة ، وهى تجيب :

ـ سنبدأ عملنا على الفور .. سنحاصر منطقة الاختفاء ، ونحضر أجهزتنا ، ونبلغ الإدارة ، و ...

قاطعتها (مشيرة) فى توتر شديد ، مكرّرة :

ـ هل سيعودان ؟!

تبادلت (سلوى) نظرة شديدة التوتر ، مع (رمزى) و(نشوى) ، قبل أن تجيب فى مرارة :

ـ هذا يتوقّف على إجابة سؤال آخر .

وخفضت عينيها الدامعتين بدورها ، مضيفة فى انكسار :

ـ أين هما الآن ؟!

نعم يا (سلوى) .. هذا هو السؤال الحقيقى ..

أين ذهب (نور) و(أكرم) بالضبط ؟!

أين هما الآن ؟!

أين ؟!

* * *

كل شيء كان يسير عاديًّا ، حتى أدار (نور) محركّ سيارته الصاروخية ..

فما أن بدأ المحرّك دورانه ، حتى شعر هو و(أكرم) برعدة عجيبة ، تسرى فى أوصالهما ، كما لو أن تيارًا كهربيًّا قد انطلق ، من كل مكان فى السيارة ، ليشمل جسديهما معًا ، فى قمة رأسيهما ، وحتى أخمص قدميهما ..

وفى توتر بالغ ، هتف (أكرم) :

- ماذا يحدث يا (نور) ؟!

ولكن (نور) لم يجب ..

بل ولم ينبس حتى ببنت شفة ..

فبكل جوارحه ، كان يحدّق فيما حوله ، وقد انعقد حاجباه ، حتى آخر مدى ، يمكن أن يلتقيا عنده ..

لقد اختفى كل ما حوله دفعة واحدة ..

تلاشى منزله ..

وحديقته ..

ورفاقه ..

بل وغاب الضوء نفسه ، إلا من هالة متألّقة فيروزية ، تحيط

بالسيارة ، التى بدا وكأنها ترتفع عن أرض وهمية ، وتندفع اندفاعًا هادئًا ، عبر ممر خفى ، يمتدّ إلى ما لا نهاية ..

جسداهما شعرا بهذا ، على الرغم من أنه لا توجد لمحة واحدة ، تشف عن طبيعة ما يحدث ..

أو حتى عن حركتهما ..

ولأن الأمر كان أكبر من أن يستوعبانه بهذه السرعة ، فقد لاذ كلاهما بصمت مطبق ، والسيارة تواصل اندفاعها الهادئ ، عبر نفق خفى ..

ثم أحاطت بهما أضواء ملوّنة ، امتزجت ببعضها البعض ، على نحو يخالف كل قواعد الضوء العادى ، ويبدو أشبه بلوحة تجريدية كبيرة ، تتحرّك فى نعومة فائقة ، و ...

وفجأة ، تلاشى كل هذا ..

وأحاط بهما ضوء قوى مبهر ..

ضوء أغشى بصريهما ، ودفعهما إلى إغلاق عيونهما ، و(أكرم) يهتف فى عصبية زائدة ، وهو يستل مسدسه من حزامه ، وكأنما يستمد منه الشعور بالحماية والأمان :

- يبدو أنه علينا أن نستعد لقتال ما يا (نور) .

« ليس بالضرورة .. »

انبعث ذلك الصوت الهادئ العميق بغتة ، من مكان ما حولهما ، ومن وسط ذلك الضوء المبهر ، الذى يغشى بصريهما ، فانتفض جسداهما فى توتر بالغ ، والتقط (نور) مسدسه الليزرى بدوره ، وكأنما استنفر ذلك الصوت روح القتال فى أعماقه ، إلا أن صاحب الصوت تابع ، بنفس العمق والهدوء :

ـ ربما لم يكن أسلوب إحضاركما إلى هنا مناسبًا ، ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة .

بدأ الضوء المبهر يخفت تدريجيًّا ، ففتح (أكرم) و(نور) عيونهما فى حذر ، وحدقا فيما أمامهما فى صمت ..

فهناك ، على بعد أمتار قليلة ، من الأسطوانة التى استقرَّت السيارة فوقها ، داخل قاعة كبيرة خالية ، كان يقف شخص ما ، فى ركن مظلم ، وهو يواجهها تمامًا ..

كان له تكوين بشرى متناسق ، لرجل قوى ، ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، يرتدى حلة لامعة ، من قطعة واحدة ، تتألَّق على نحو عجيب ، على الرغم من وجود صاحبها ، فى دائرة الظلّ ..

أما اللغة التى استخدمها ، فكانت العربية الفصحى ، التى يمكن أن يتحدَّث بها شخص أجنبى ، درس لغتنا من أمهات الكتب ، ليرقى بنفسه إلى عالم الأدب والتراث القديم ..

كل هذا درسه عقل (نور) ، فى لحظة واحدة ، وهو يغادر سيارته ، قائلاً فى حذر :

ـ أين نحن بالضبط ؟!

أما (أكرم) ، فقد غادر السيارة بحركة حادة ، ولوَّح بمسدسه ، هاتفًا فى غضب :

ـ بل السؤال هو : من أنت ؟! وماذا تريد منا بالضبط ؟!

ظلَّ ذلك الشخص هادئًا ، متماسكًا ، غير مبال بفوهة المسدَّس ، المصوَّبة إليه ، وهو يجيب ، بنفس الصوت العميق :

ـ أنتم هنا داخل مركبة خاصة ، تدور حول الأرض ، ومحاطة بمجال كهرومغناطيسى متطوِّر ، يحجبها عن الأنظار ، وعن أجهزة الرصد والمراقبة ، التى تملكونها الآن ، ولقد أحضرتكما إلى هنا ، بوساطة شعاع ناقل خاص ، تم تطويره لـ ...

قاطعه (أكرم) فى صرامة شديدة ، وهو يلوِّح بمسدسه فى وجهه :

ـ إنك لم تجب أسئلتى بعد .

صمت الشخص بضع لحظات ، قبل أن يتقدَّم إلى الأمام بضع خطوات ، ليقترب من الضوء أكثر ، وهو يقول :

ـ تمامًا كما قالوا عنك يا سيِّد (أكرم) .. عصبى .. عجول .. صارم .. غاضب .. وشريف ومخلص إلى أقصى حد .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وعقله يسعى لهضم العبارة ، فى حين بدا (أكرم) أكثر غضبًا وعصبية ، وهو يتقدَّم نحو ذلك الشخص ، قائلاً فى حدة :

ـ من الذين قالوا هذا ؟! وماذا تريد منا بالضبط ؟!

شدّ ذلك الشخص قامته أكثر ، وهو يقول ، بنفس الهدوء العميق :

ـ كف عن التلويح بمسدسك فى وجهى يا سيّد (أكرم) ، فرصاصته لا يمكنها أن تؤذينى .

ثم أدار وجهه الغارق فى الظلمة نحو (نور) ، مضيفًا :

ـ وحتى أشعة مسدسك الليزرى ، لا يمكنها أن تفعل شيئًا .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، ولكنه خفض مسدسه الليزرى فى بطء ، وأعاده بالفعل إلى حزامه ، وهو يقول :

ـ ما زلت أرغب فى معرفة جواب السؤال الثانى لصديقى (أكرم) .

وشدّ قامته بدوره ، مضيفًا فى صرامة :

ـ ماذا تريد منا بالضبط ؟!

أما (أكرم) ، فقال فى حدة :

ـ لست أصدق أن رصاصتى لن تؤذيك ، وأن ..

قاطعه ذلك الشخص فجأة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

ـ أطلق النار .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وسرى التوتر فى كل ذرة من كيانه ، وهو يقول فى حدة عصبية :

ـ سأفعل لو ..

قاطعه ذلك الشخص ، بصيحة آمرة مفاجئة :

ـ أطلق النار .

ومع الصيحة المباغتة ، ضغط (أكرم) زناد مسدسه بحركة آلية ..

وانطلقت رصاصة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم تجمدت سبّابة (أكرم) على زناد مسدسه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى ذلك الشخص ، الذى قال فى هدوء ، وهو يقترب من دائرة الضوء فى بطء :

ـ كان ينبغى أن تثق فى قولى تمامًا يا سيّد (أكرم) .. فبالنسبة لك بالتحديد ، لا يمكننى أن أكذب أبدًا .

نطقها ذلك الشخص ، وهو يدخل دائرة الضوء بالفعل ..

واتضحت ملامحه كلها دفعة واحدة ..

واتسعت عيون (نور) و(أكرم) عن آخرهما ، وهما يتراجعان بحركة حادة ، كما لو أصابتهما صاعقة ..

فما رأياه أمامهما كان مذهلاً ..

بحق .

* * *

3ـ دمـار..

بـدأ الهجوم بغتـة ، وسـاحقًا ماحقًا ، على نحـو لم يتصوَّره أو يتوقَّعه أحد ..

لقد انطلق شعاع أخضر ضخم ، من قبضتى الآلى العملاق ، ليسحق إحدى فرق الجيش أمامه بضربة واحدة ، ويحيل أفرادها ، ومعداتهـا ، وأسلحتها ، إلى كومة من الرماد ، فى ثانية واحدة فحسب ..

وفى رعب ذاهل مذعور ، تراجع الدكتور (جلال) ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، استدار على عقبيه ، وانطلق يعدو بأقصى سرعة ، عائدًا إلى سيارته ..

وخلفه ، انطلق كل فريق العلماء ..

جميعهم تخلوا عـن آلاتهم ، وأجهزتـهم ، ومعداتهم ، وسـعوا للنجاة بحياتهم ، أمام ذلك الخطر الجارف الرهيب ..

أما قائد القوات ، فقد صاح بكل انفعاله ، عبر أجهزة الاتصال الخاصة :

ـ انسحاب .. تراجعوا جميعًا .. انسحاب كامل .

وخلال تلك الوهلة الزمنية ، بين بداية صيحته ونهايتها ، كـان

ذلك الآلى العملاق قد أطلق موجة ترددُيـة رهيبـة ، مـن منتصف صدره ، ليسحق بها فرقة أخرى من فرق الجيش المحيطة به ..

وحاول الباقون الدفاع عن أنفسهم ..

حاولوا القتال من أجل واجبهم ..

وكرامتهم ..

ووطنهم ..

أو حتى لتغطية وتنظيم انسحابهم ..

ولكن ضربات ذلك العملاق الهائل ، بأسلحته المختلفـة الرهيبة ، كانت تسحق بعضهم ، وتفنى البعض الآخر ، وتمزِّق أوصال مـن تبقَّى تمزيقًا ..

كل هذا ، وهو يتقدَّم فـى هدوء وبطء ، عبر منطقـة الأطـلال القديمة ، ونحو حدود (القاهرة) الجديدة المأهولة ..

ويتقدَّم ..

ويتقدَّم ..

وفى يأس مرير ، وانفعال بلـغ ذروتـه ، هتف قـائد القوات ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ من الفرقة (أ) إلى القيادة .. الخطر يتجاوز كـل الحدود .. كلها على الإطلاق .. نريد إمدادات عاجلـة فورًا .. الخطر يتجـه نحو الحدود العسكرية للمدينة الجديدة ، ونحن عاجزون عن ..

توقَّف هتافه دفعة واحدة ، مع تلك الصاعقة الرهيبة ، التى سقطت على رأسه مباشرة ، لتنسف المنطقة المحيطة به كلها نسفًا ، فى انفجار هائل ، رصده الدكتور (جلال) ، فى مرآة سيارته الجانبية ، وهو ينطلق بسيارته الصاروخية ، مبتعدًا عن المكان ، بأقصى سرعة تسمح بها تضاريس الطرق القديمة ، ويهتف فى رعب بلغ منتهاه :

– رباه ! إنها النهاية .. إنها النهاية لا ريب .

نطقها وذلك الآلى العملاق يعتدل ، ويدير عينيه الآليتين فيما حوله ؛ ليتيقَّن من أنه قد ربح معركته الأولى بتفوق تام ..

ومن أنه قد سحق كل من حوله ..

بلا رحمة ..

ثم اعتدل ، وتطلَّع إلى (القاهرة) الجديدة ، وراجع صورتها على برنامج التدمير المعد داخله ، وتأكَّد من أنها أول هدف فى العملية التى أتى من أجلها ..

العملية التى أطلق عليها صانعوه اسم (الفناء) ..

ويا له من اسم !

ومن معنى !

* * *

« درجة الإشعاع مرتفعة عن المألوف .. »

نطقت (سلوى) العبارة فى توتر ، وهى تراجع النتائج ، التى رصدتها أجهزتها ، التى تحيط بمنطقة اختفاء (نور) و(رمزى) ، ثم رفعت عينيها إلى المنطقة نفسها متابعة :

– أجهزتى ترصد أيضًا ذبذبة غير مألوفة ، لها تردُّد يخالف كل الترددات المعروفة ..

وارتفع بعدها إلى أعلى ، مع استطرادتها العصبية :

– ذبذبة تأتى من أعلى .

أضافت (نشوى) :

– من الفضاء .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وهو يغمغم :

– يا إلهى ! تُرى ما الذى يعنيه هذا ؟!

قالها ، واستدار ليسأل (مشيرة) عن رأيها ، إلا أنها بدت شديدة الانهماك ، فى محادثة هاتفية خاصة ، فعاد ببصره إلى (سلوى) و(نشوى) ، متسائلًا :

– هل تعتقدان أن سبب اختفائهما يأتى من أعلى ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت فى انفعال :

ـ هذا يبدو واضحًا ، فبالإضافة إلى الذبذبات ، التى تأتى من مكان ما من الفضاء ، ترصد الأجهزة بقايا شعاع ما ، غير مرئى ، يمتدّ من نقطة الاختفاء ، إلى مكان ما فى فضاء الأرض .

هزّت (سلوى) رأسها ، مغمغمة فى توتر :

ـ يا إلهى ! كم أفتقد (محمود) ، بكل خبراته وعلومه عن الأشعة(*) .

تنهّدت (نشوى) بدورها ، قائلة :

ـ أظننا نحتاج إلى خبير أشعة فى الفريق حتمًا .

ثم استدارت إلى زوجها (رمزى) ، دون أن تتوقّف أصابعها ، عن التقافز فوق أزرار الكمبيوتر ، مضيفة :

ـ ونحتاج أيضًا إلى من يرعى الصغيرين .

أجابها (رمزى) فى حزم :

ـ لقد أرسلت فى طلب من يقوم بهذه المهمة .. لا تقلقى نفسك بشأنهما .

ثم أشار إلى شاشة جهازها ، مستطردًا :

ـ فنحن بحاجة إلى كل ذرة فى عقليكما ، لتفسير هذا الشىء .

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. العدد رقم (100) ، من سلسلة (ملف المستقبل) (روايات مصرية للجيب) .

واصلت (سلوى) عملها على أجهزتها الراصدة ، وهى تقول :

ـ لست خبيرة تمامًا فى الأشعة ، ولكن الأجهزة ترصد أثر حزمة إشعاعية قوية ، ما زالت تترك أثرها فى المكان ، و ..

قاطعها فجأة دوى مكتوم لانفجار بعيد ، فاستدارت عيونهم كلها نحو مصدره المحتمل ، قبل أن تغمغم (نشوى) فى اضطراب :

ـ شىء ما يحدث هناك .. فى منطقة الأطلال القديمة .

غمغم (رمزى) فى توتر :

ـ شىء عنيف .

وأضافت (سلوى) ، وهى تواصل عملها :

ـ للغاية .

اتجهت (مشيرة) نحوهم ، عند هذه اللحظة ، وقالت فى عصبية :

ـ إنه هجوم خارجى .

استدار الكل إليها ، فى دهشة مذعورة ، وكرّرت (نشوى) فى قلق شديد للغاية :

ـ هجوم خارجى ؟!

أومأت (مشيرة) برأسها إيجابًا ، وقالت فى عصبية أكثر :

ـ نعم .. هجوم من خارج كوكبنا .

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ غزو آخر ؟! مستحيل !

دفعت (مشيرة) هاتفها المحمول نحوهـم ، وهـى تضغط أحد أزراره ، قائلة :

ـ انظروا بأنفسكم .

حدَّق ثلاثتهم فى الشاشة المتألِّقة لهاتفها المحمول ، والتى بـدا عليها مشهد متحرِّك ، لذلك الآلى العملاق ، وهو يهاجم القـوات ، ويسحقها سحقًا بلا رحمة ، مواصلاً تقدّمه نحو (القاهرة) الجديدة ..

وفى ذهول حمل كـل الرعب ، غمغمت (سلـوى) ، وبصرهـا يعود إلى نقطة اختفاء سيارة (نور) :

ـ رباه ! لا يمكن أن يحدث هذا .. لا يمكن أبدًا .

أعـادت (مشيرة) هاتفها إلى جيبهـا ، وهـو تقول فى عصبيـة زائدة :

ـ ولكنه حدث ، وأحد مراسلى صحيفتـى المرئية التقط المشـهد ، وبثه إلىَّ ، وإلى المحطة فى آن واحد .

وبدت شديدة الانفعال ، وهى تتابع ، مندفعة نحو سيارتها :

ـ الأمر يحتاج إلى تواجدى هناك حتمًا .

لم يحاول أحدهم منعها ، وهى تقفز داخل سيارتها ، وتنطلق بها مبتعدة ، وإنما ران على ثلاثتهم صمت رهيب ، قطعتـه (نشوى) ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ـ هجوم من الفضاء .. وشعاع من الفضاء!!

ثم أدارت عينيها إلى (سلوى) ، متابعة فى هلع :

ـ أمى .. أين ذهب أبى و(أكرم) ؟!

حدَّقت (سـلـوى) فـى وجـه ابنتهـا بضـع لحظـات ، اغرورقت عيناها خلالها بالدموع ، قبل أن تدير بصرها إلى شاشة الجهاز ، الذى يعيد تكوين تلك الحزمة الإشعاعية ، التى تسبَّبت فى اختفاء سيارة (نور) ، وتقول فى مزيج مدهش ، من الحزم والتوتر :

ـ سنبذل قصارى جهدنا لنعلم يا بنيتى .. سنبذل قصارى جهدنا .

وفى نفس اللحظة ، التى نطقتها فيهـا ، كـان دوى الانفجارات يتردَّد مرة أخرى ، من منطقة الأطلال القديمة ..

ويتردَّد ..

ويتردَّد ..

* * *

لثوان ، حدَّق (نور) و(أكرم) فى وجه ذلك الشخص الواقف

أمامهما فى ذهول تام ، قبل أن يهتف (أكرم) ، بكل ما ملأ نفسه من انفعال :

ـ (س ـ 18) ؟!

فباستثناء الزى ، والقامة الأكثر آدمية ، كان الواقف أمامهما هو بالفعل (س ـ 18) ، ذلك المقاتل الآلى الخارق ، الذى عرفاه دائمًا(*) .

الوجه الأخضر ، الجامد الملامح ، والعينان البراقتان الواسعتان ، والنظرة القاسية المباشرة ، و ...

ولكن شيئًا ما ، فى أعماق (نور) ، شعر بأن هذا مستحيل !

شىء لا يمكنه أن يصفه ..

أو يحدّده ..

أو حتى يؤيّده بدليل واحد ..

إنما هو مجرّد شعور ..

شعور نبت من أعمق أعماقه ، وامتزج حتمًا باستنباطات أدركها عقله الباطن ، قبل أن تستوعبها حواسه المباشرة ، وجعله يقول ، فى شىء من الحدة والصرامة :

ـ هذا ليس (س ـ 18) .

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (47) .. من سلسلة (ملف المستقبل) .. (روايات مصرية للجيب) .

أدار إليه ذلك الشخص عينيه الواسعتين المتألقتين ، وهو يقول :

ـ ولماذا ؟! ألأننى أتحدَّث بهذه التلقائية ؟!

هزَّ (نور) رأسه فى إصرار ، قائلاً :

ـ ليس بالضرورة .. التحدُث بأية وسيلة كانت ، مجرَّد برنامج متطورٌ ، يمكن إضافته إلى شخص آلى ، و ...

بتر عبارته لحظة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ هذا لو أنك شخص آلى .

بدا ذلك الشخص هادئًا عميقًا كعادته ، وهو يقول :

ـ ألا أبدو كذلك ؟!

كان (أكرم) الذى أجاب هذه المرة ، وهو يقول فى حدة :

ـ كلا .. لا تبدو كذلك .

ثم استدرك فى عصبية :

ـ إلا فى ملامحك فحسب .

نقل ذلك الشخص بصره ، بين (نور) و(أكرم) ، قبل أن يقول ، بنفس الهدوء العميق :

ـ هذه الملامح تكريمية فحسب .

ردَّد (نور) ، فى حذر متسائل :

ـ تكريمية ؟!

أومأ الشخص برأسه ، مجيبًا :

ـ نعم يا سيِّد (نور) .. الغرض من صنع ملامحى ، على هذا النحو ، هو تكريم (س ـ 18) ، بعد أن استنفد كل ذرة من طاقته ، لإنقاذ عالمى ، بأوامر من ..

صمت بضع لحظات ، وهو يتجه بعينيه الواسعتين المتألقتين نحو (أكرم) ، قبل أن يضيف :

ـ بأوامر منك يا سيِّد (أكرم) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين هتف (أكرم) ، بكل دهشة الدنيا :

ـ منى أنا ؟!

قال الآلى ، فى احترام شديد :

ـ نعم .. منك أنت يا سيِّد (أكرم) .. أنت من أمر (س ـ 18) ببذل نفسه من أجلنا .. من أجل عالمى كله .. العالم الذى صنعنى ، وأرسلنى إلى هنا ، لأرد لك الجميل .

ثم عاد ببصره إلى (نور) ، مضيفًا :

ـ ولكم جميعًا فى الواقع .

بدا (أكرم) مندهشًا مستنكرًا ، وهو يقول :

ـ ولكننى لم ..

قاطعه (نور) بإشارة صارمة من يده ، وهو يسأل ذلك الآلى فى حزم :

ـ ماذا تعنى بأن عالمك قد أرسلك لترد الجميل ؟!

تطلَّع إليه الآلى فى صمت لبضع لحظات ، قبل أن يستدير إلى الجدار ، ويحرِّك راحته أمامه فى سرعة ، وبحركة منتظمة متتابعة ..

وأمام عينى (نور) و(أكرم) ، تألَّق ذلك الجزء من الجدار ، ثم بدا وكأنه يذوب على نحو عجيب ، قبل أن تنفصل عنه بغتة فقاعة شفافة كبيرة ، حلَّقت فى الهواء بنعومة ، وتوقَّفت أمام الآلى ، الذى لمسها بأنامله فى رفق ، وهو يقول بهدوئه العميق :

ـ هذا ما يحدث فى عالمكم الآن .

مع لمسته ، تموَّجت أعماق الفقاعة فى هدوء ، ثم ظهر المشهد داخلها تدريجيًا ، حتى أصبح مجسَّمًا ، واضحًا ، جليًّا ..

وانعقدت حواجب الرجلين فى شدة ..

وفى توتر ..

بلا حدود ..

فداخل الفقاعة ، بدا ذلك الآلى العملاق ، وهو يواصل تقدّمه نحو حدود (القاهرة) الجديدة ، والقوات تَحاول منعه أو تدميره ..

وبلا طائل ..

كانت هناك فرقة من الدبَّابات والمدرعات ، تمطره بقنابلها ، التى تتفجَّر على جسده المنيع ، دون أن تترك فيه خدشًا واحدًا ..

أما الطائرات المقاتلة ، فقد راحت تشن هجماتها عليه ، فى موجات منتظمة ، وهى تقصفه بصواريخها ، وبمدافع الليزر القوية ..

حتى الأقمار الصناعية الدفاعية شاركت فى الهجوم بحزم الليزر ، والأشعة النيوترونية الفائقة ..

ولكن العملاق الآلى بدا منيعًا قويًا ..

وإلى أقصى حد ..

كان يبدو وكأنه مصنوع من مادة مضادة للكسر ..

والتشقُّق ..

وحتى الخدش ..

مادة لم تعرفها علوم الأرض قط ..

وقد لا تعرفها أبدًا ..

وفى الوقت ذاته ، كانت أسلحته العديدة ، التى يستخدمها فى هدوء شديد ، عنيفة ، ومبتكرة ..

وساحقة تمامًا .

ففى كل مرة ، يطلق أحد أسلحته ، كان يطيح بمهاجميه ..

ويمحقهم ..

ويسحقهم سحقًا ..

ثم يواصل تقدُّمه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبكل توتر الدنيا ، هتف (أكرم) :

ـ رباه ! كيف يمكن إيقاف شىء كهذا ؟!

أدار (نور) عينيه إلى الآلى الواقف أمامه ، قائلاً فى صرامة متوترة :

ـ نعم .. هذا هو السؤال .. ما دمت تزعم أنك هنا لرد الجميل .. كيف يمكن إيقاف شىء كهذا ؟!

بدا وكأن الآلى قد تجاهل السؤال تمامًا ، وهو يشير إلى الفقاعة ، قائلاً :

- ما ترياه أمامكما هو آلة مدمِّرة ، من الطراز الأوَّل ، مصنوعة من سبيكة خاصة للغاية ، يطلق عليها علماء عالمى اسم (ألتيماتا) ، وهى تتكوَّن من عدد من العناصر ، التى تم العثور عليها فى أعماق كوكب صغير ، فى نهاية مجموعتنا الشمسية والتى يتم دمجها ببعضها البعض ، بوساطة تركيز حرارة النجم المزدوج ، فى نظام (زيتا) ، و ...

قاطعه (أكرم) فى عصبية ، وقد أرهقته تلك التفاصيل العلمية كالمعتاد :

- هل يحتم برنامجك عدم إجابة الأسئلة المباشرة ؟!

صمت الآلى لحظة ، ثم تطلّع إليهما معًا ، وقال :

- ما يحدث الآن هو الخطوة الأولى من برنامج شامل ، لإفناء الحضارة الأرضية تمامًا ، كبداية لشن حملة استعادة السيطرة الكونية ، و ....

قاطعه (نور) هذه المرة فى صرامة :

- وهل من وسيلة لإيقافه ؟!

نقل الآلى بصره بينهما ، متسائلاً ، بنفس الهدوء الآلى العميق :

- ألا ترغبان فى معرفة التفاصيل ؟!

هتف (نور) ، وهو يشير إلى الفقاعة الشفافة فى حدة :

- ألا تدرك أنت ، أنه لو كان ما تبثه تلك الفقاعة ، هو ما يحدث الآن على الأرض بالفعل ، فهذا يعنى أنه هناك دم عربى يراق ، فى كل لحظة تمضى ، دون أن نعرف كيف نوقف هذا الشىء ؟! هل تعتقد أن الوقت مناسب ، فى ظروف كهذه ، لمعرفة كافة التفاصيل ؟! هيا .. أخبرنا بالله عليك ، وعلى نحو مباشر تمامًا ، ودون أية محاولة أو مناورة .. كيف يمكننا إيقاف آلة التدمير الهائلة هذه ، قبل أن تتمادى فى سحقها لنا بلا رحمة ؟!

صمت الآلى بضع لحظات هذه المرة ، قبل أن يجيب :

- لا توجد أية وسيلة لهذا .

بدا وكأن الجواب قد أصاب رأس (نور) كصاعقة ، انتفض معها جسده ، وتراجع بحركة حادة ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما فى ارتياع ، فى حين هتف (أكرم) مستنكرًا ، وهو يرفع مسدسه مرة أخرى :

- أى جميل هذا ، الذى أتيت لتردَه إذن ، ما دامت لا توجد أية وسيلة ، لإيقاف ذلك المدمِّر الآلى البشع ؟!

ظلَ الآلى على هدوئه العميق ، وهو يجيب :

- لو استمعتما إلى التفاصيل ؛ لأدركتما أن ذلك الآلى المدمِّر

من صنع حضارة جبّارة ، وضعت فيه آخر قوتها وأملها ، فى استعادة سطوتها الكونية ، وسيطرتها الطاغية ، على عدد من المجرات فى الكون ، بعد أن خسرت مستعمراتها الفضائية كلها ، فى حربها الأخيرة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ معكم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يردّد فى توتر :

ـ معنا نحن ؟!

أما (أكرم) ، فقد جذب إبرة مسدسه فى عصبية ، وكأنما نسى أن رصاصاته لا يمكنها إيقاف الآلى الواقف أمامه ، وهو يهتف فى حدة :

ـ ما الذى تحاول أن تفعله بنا بالضبط يا هذا .. لقد أحضرتنا إلى هنا ؛ لتطلعنا على موقف يائس ، يمزّق أفئدتنا ، ثم لا يمنحنا أى أمل فى رتقها ، أو إنقاذها من الانهيار ، وبين هذا وذاك تغرقنا فى بحر متلاطم ، من ألغاز غامضة ، ومبهمة ، وعجيبة ، دون تفسير أو تعليل ! ما الذى تدفعنا نحوه بالضبط ؟!

أجابه الآلى بهدوئه العميق :

ـ الحقيقة يا سيّد (أكرم) .. أحاول دفعكم نحو الحقيقة فحسب ..

والحقيقة هنا هى أن عالمكم يواجه الآن أقوى آلة مدمّرة عرفها الكون .. آلة تملك أقوى وأعنف الأسلحة ، وتصد الهجوم بجسم من مادة (ألتيمانا) ، التى لا تفوقها أية مادة كونية أخرى ، صلابة أو صلادة(*) ، ويقود كل هذا برنامج مذهل ، صنعته حضارة أرضية مغرقة فى القدم ، وربما تعود إلى ملايين السنين .. حضارة لم تبلغ حضارتكم الحالية مقدارها ، أو حتى الدرجة الأولى ، من سلمها الكبير العظيم .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ ألغز آخر هذا ؟!

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه عن آخرهما ، وهو يقول فى توتر :

ـ يبدو لى وكأنك تتحدّث عن ..

قاطعه الآلى ، وهو يواصل ، وكأنه يفرغ برنامجًا متصلاً فى أعمق أعماق تكوينه الإلكترونى .

ـ حضارة فنت إثر حرب طاحنة رهيبة ، سحقتها عن آخرها بلا رحمة ، ولم يتبق منها سوى بقايا من تجارب وراثية وبيولوجية ، سادت الأرض لحقبة طويلة من الزمن ، وفريق قليل من العارفين بما مضى ، تآزر ليعيد بناء تلك الحضارة المندثرة ، فى قلب المحيط الأطلنطى ، وجاهد ليستفيد من البرنامج المذهل القديم ، ومن بقايا ما صنعه الأقدمون ، و ...

(*) الصلابة : هى قدرة المادة على كسر غيرها من المواد ، أما الصلادة : فهى قدرة المادة على خدش غيرها من السطوح ، ومن هذا المنطلق يعتبر الفولاذ أكثر صلابة من الزجاج ، ولكنه أقل منه صلادة .

« أطلنطس .. »

هتف (نور) بالكلمة ، فى حزم ، وجسده كله يرتجف فى انفعال ، فتركزت العينان الآليتان الواسعتان المتألقتان على وجهه ، والآلى يقول :

ـ نعم يا سيِّد (نور) .. تلك الحضارة ، التى نمت على أنقاض وبقايا الحضارة العظيمة السابقة ، هى ما تطلقون عليه اسم (أطلنطس) .. تلك القارة الصناعية ، التى كان يمكن أن تقود العالم كله إلى ذروة لم يبلغها غيركم فى الكون ، لولا أن سيطر الغرور وزهو القوة على سادتها ، مع ما جنوه من تراث أجداد أجدادهم ، فصنعوا قنبلة هائلة ، و ...

قاطعه (نور) هذه المرة ، قائلاً فى انفعال أكبر :

ـ القنبلة الأيونوبروتينية .. أعلم هذا .

استدار إليه (أكرم) فى دهشة ، قائلاً :

ـ تعرفها ؟!

أومأ (نور) برأسه ، مجيبًا فى انفعال :

ـ نعم .. لقد كنت هناك(*) .

(*) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (92) .. من سلسلة (ملف المستقبل) .. (روايات مصرية للجيب) ..

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يهتف فى ذهول :

ـ هناك ؟!

عاد (نور) يومئ برأسه ، قبل أن يعاود التحديق فى الفقاعة الشفافة ، التى نقلت مشهد الآلى العملاق ، الذى بلغ معسكرات الجيش ، عند حدود (القاهرة) الجديدة ، وراح يمطرها بحزم الأشعة الساحقة ، غير مبال بكل ما تطلقه عليه من أسلحة ، ثم يقول فى عصبية :

ـ قصتك هذه تشير إلى أمر واحد ، يفزعنى مجرَّد التفكير فى امكانية حدوثه .

تساءل (أكرم) فى توتر شديد :

ـ أى أمر هذا يا (نور) ؟!

أما الآلى ، فقال فى هدوء :

ـ الذين صنعونى ، كانوا واثقين من أنك ستتوصَّل حتمًا إلى الحقيقة ، يا سيِّد (نور) .

هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ أية حقيقة ؟!

لم يبد حتى أن (نور) قد سمعه ، وهو يحدِّق فى الفقاعة الكبيرة ، قائلاً :

ـ هل تريد أن تقول إن هذا العملاق ، الذى يهدّد كوكبى كله بالفناء ، يعتبر من الناحية الفعلية ، وبغض النظر عن الهيئة الخارجية ..

تردَّد طويلاً ، عند هذه النقطة ، فاعتدل الآلى ، وأجابه بصوته الهادئ العميق ، الذى رددت الجدران اللامعة صداه هذه المرة :

ـ نعم يا سيِّد (نور) .. هذا الذى يهدِّد عالمك بالفناء ، وبغض النظر عن هيئته الخارجية ، هو بالفعل رجلكم الآلى الخارق .. إنه (س ـ 18) .. شخصيًا .

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ..

وانتفض قلبه بين ضلوعه ..

بمنتهى العنف .

* * *

4ـ التفاصيل ..

« مستحيل ! »

هتف القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية بالعبارة ، بكل دهشة وتوتر الدنيا ، وهو يُحدِّق فى المشاهد المجسَّمة ، التى التقطتها فرقة الاستطلاع العلمى ، لما يحدث هناك ، عند حدود الأطلال القديمة ، وتراجع فى مقعده بحركة عصبية ، وهو يسأل الدكتور (جلال) :

ـ هذا الشىء يكتسح قواتنا فى يسر مخيف ، كما لو أنه مبيد حشرى قوى ، يزيح من أمامه طابورًا من النمل .

وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة من رأسه ، وقال فى توتر :

ـ إنه يواصل تقدّمه نحو المنطقة المأهولة ، على الرغم من كل المحاولات لمنعه ، وخبراؤنا يقولون إنه ، وفقًا لمعدّلات تقدُّمه واكتساحه لكل مقاومة ، فلن تمضى ساعات ثلاث ، حتى يكون قد قضى على كل أثر للحياة ، فى (القاهرة) الجديدة كلها .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ وماذا عن الأسلحة غير التقليدية .. طاقة النيوترون ، والقنابل النووية المحدودة ، وقاذفات البروتون وغيرها ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ وزارة الدفاع تدرس إمكانية استخدامها بالفعل ، ولكن البعض يخشى ردود أفعال ذلك الشىء ، الذى يوحى بأنـه مـا زال يمتلك أسلحة أشد فتكًا ، لم يستخدمها بعد .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله أكثر من هذا ؟!

وتراجع فى مقعده ، مضيفًا بتوتر بالغ :

ـ إنه يدمرنا بلا رحمة .

أطلق الدكتور (جلال) زفرة ملتهبة ، قبل أن يغمغم :

ـ علماؤنا كلهم يعملون ، على قدم وساق ، فى محاولة لإيجاد سبيل لإيقافه ، وفى رأيهم أن كل دقيقة تمضى ، قد تمنحهم أملاً أكبر فى المقاومة ، ولو تم استخدام الأسلحة غير التقليدية ، دون أن يسفر هذا عن هزيمتـه ، فقد يدفعه هذا إلى إطلاق طاقات هائلة ، تفنى العاصمة كلهـا ، دون أن تمنحهم فرصة الفهـم ، والاستيعاب ، والمقاومة .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، قائلاً فى حنق :

ـ الخلاف التقليدى ، بين العلماء والعسكريين .

ثم اعتدل على مقعده ، مضيفًا فى ضيق :

ـ والذى سيحسم حتمًا لصالح العسكريين .. كالمعتاد .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ ولكن الأمر بالغ الخطورة هذه المرة .

تنهَّد القائد الأعلى فى حرارة ، مغمغمًا :

ـ ومتى لم يكن كذلك ؟!

وصمت لحظة ، وهو يتابع شاشات الرصد الحديثة ، التى تنقل تطوّر الموقف ، عنـد المنطقـة العسكرية ، المتاخمة للحدود ، ثم تساءل فى اهتمام بالغ :

ـ أين (نور) وفريقه ؟! كان ينبغى أن يتواجدوا فى مقرّهم ، فى ظروف كهذه !!

حمل صوت الدكتور (جلال) توتره الشديد ، وهو يقول :

ـ فريق (نور) يواجه كارثة أخرى بالفعل يا سيِّدى .

هتف القائد الأعلى فى انزعاج :

ـ كارثة أخرى ؟! أية كارثة أخرى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ إنها كارثة تزامنت مع ذلك الهجوم الآلى الرهيب ، على نحو يوحى بأنهما يرتبطان ببعضهما البعض ، على نحو أو آخر .

ثم مال نحو القائد الأعلى ، مستطردًا فى لهجة متوترة :

ـ لقد اختفى (نور) و(أكرم) .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى ، وهو يهتف بكل الدهشة :

ـ اختفيا .

شرح له الدكتور (جلال) فى سرعة ما حدث ، ووصف جهود أفراد الفريق ، فى محاولتهم لكشف الأمر ، واستماتتهم لإيجاد سبيل لإنقاذ (نور) و(أكرم) ، واستعادتهما ، واستمع إليه القائد الأعلى ، بكل الاهتمام والانتباه ، حتى انتهى مما لديه ، فانعقد حاجباه أكثر وأكثر ، ونهض واقفًا ، وغادر مقعده ، ليتحرَّك فى حجرة مكتبه فى صمت ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لماذا حدث هذا فى رأيك ، يا دكتور (جلال) ؟!

سأله الدكتور (جلال) ، فى شىء من الحذر :

ـ الهجوم الآلى ، أم اختفاء (نور) و(أكرم) ؟!

استدار إليه القائد الأعلى ، ورفع سبَّابته أمام وجهه ، قائلاً ، دون أن يجيب تساؤله :

ـ لماذا اختفى (نور) و(أكرم) ، فى هذا التوقيت بالذات ، مع بدء الهجوم الآلى الرهيب ؟!

راح الدكتور (جلال) يزن إجابته ، قبل أن ينقلها إلى لسانه ، قائلاً :

ـ ربما هو امتداد للهجوم نفسه ، فى شكل آخر ، أو ...

قاطعه القائد الأعلى ، وكأنه لم يسمعه :

ـ ولماذا اختفيا وحدهما ؟! لماذا ليس الفريق كله ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، مجيبًا :

ـ ربما كان هذا من حسن الحظ يا سيِّدى ؛ حتى يبقى من يمكنه العمل على استعادتهما .

مال القائد الأعلى نحوه ، قائلاً فى حزم :

ـ أو حتى ينشغل الكل باستعادتهما .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يتساءل متوترًا :

ـ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟!

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، وهو يجيب فى حزم أكثر :

ـ ما أعنيه هو أن فريق (نور) يعتبر أقوى فريق مخابرات علمى ، ليس فى (مصر) وحدها ، ولكن فى العالم كله ، باعتراف الأعداء قبل الأصدقاء ، وفى موقف كهذا يكون من صالح العدو ـ أيًا كانت هويته ـ أن يتم تحييد الفريق كله ، وإبعاده عن ساحة المعركة تمامًا .

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يدرس الاحتمال فى أعماقه ، قبل أن يتساءل فى شىء من الحذر ، ليس له ما يبرِّره :

ـ ولكن لماذا لم يحاول العدو التخلُّص من (نور) وفريقه مباشرة فى البداية ؟! ثم ما الذى يمكن أن يفعله الفريق ، أكثر مما تفعله قواتنا المسلحة كلها ؟!

تطلَّع إليه القائد الأعلى مباشرة ، وهو يسأله فى حزم :

ـ هل تسألنى حقًّا ؟!

استعاد عقل الدكتور (جلال) ، فى لحظة واحدة ، تاريخ فريق (نور) كله ، وانتصاراته الساحقة ، فى مواقف بدت للكل يائسة مستحيلة ، قبل أن يخفض بصره ، متمتمًا :

ـ كلا يا سيادة القائد الأعلى .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلق صفير محدود فى المكان ، وارتسمت على شاشة الرصد عبارة متألِّقة ، التفت إليها الاثنان فى حركة سريعة ، قبل أن ينعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، ويهتف الدكتور (جلال) فى انفعال ، والكلمات ترتجف على شفته ارتجافًا :

ـ رباه ! لقد اتخذوا قرارهم .

وارتجف صوته أكثر ، وهو يضيف :

ـ سيستخدمون الأسلحة غير التقليدية .

ولم ينبس القائد الأعلى ببنت شفة ..

فالقرار الذى اتخذته قيادة القوات المسلَّحة ، كان ينقل المعركة كلها إلى مستوى جديد ..

وخطير ..

للغاية ..

* * *

على الرغم من دوى الانفجارات ، الذى يبلغ مسامعهم طوال الوقت ، بذل (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) أقصى طاقاتهم ، للتركيز على عملية الرصد والبحث ، حول البقعة التى اختفت عندها وفيها سيارة (نور) بحملها ..

وعلى شاشات الأجهزة ، بدت حزمة الأشعة واضحة ، وهى تحيط بالبقعة ، وتمتد إلى أعلى ، متجاوزة الغلاف الجوى الأرضى ، إلى بقعة خالية من الفضاء ..

وفى خفوت متوتر ، غمغمت (نشوى) :

ـ إنه انبعاث أيونى متصل ، خلفه ذلك الشعاع غير المرئى ،

ولكنه يقـود إلى منطقـة فضـائية خـاوية ، تبدو ـ ولسبب ما ـ وكأنها مصدره الرئيسى .

قالت (سلوى) ، وهى تعيد حساباتها للمرة الخامسة :

ـ إنه شعاع ناقل على الأرجح .. شعاع استخدمته جهة مـا ، لتنقل (نور) و(أكرم) إليها .

ثم رفعت رأسها إلى أعلى ، متابعة فى انفعال :

ـ وهذا يعنى أن الاحتمال الأرجح هو أنهمـا مـا زالا علـى قيد الحياة هناك .

وأشـارت بسبَّابة مرتجفـة ، مـن فـرط الانفعـال ، إلـى بقعـة سماوية عشوائية ، مضيفة :

ـ فى مكان ما هناك .

بدا (رمزى) قلقًا ، وهو يقول ، فى لهجـة حملت مزيجًا مـن الشك والحذر :

ـ على قيد الحياة ؟!

قالت (نشوى) فى حزم متوتر ، وهى تلتفت إليه :

ـ إنه ليس إغراقًا فى تفاؤل غير مبرَّر يا (رمزى) ، بـل هـو استنباط علمى محض ، يعتمد على استخدام شعاع نـاقل ، وليس شعاعًا قاتلاً .

كان (رمزى) يستوعب هذا المنطق العلمى بـالفعل ، إلا أنـه غمغم ، فى شىء من التوتر :

ـ ولكن لماذا ؟!

قالت (سلوى) ، وهى تعاود العمل على أجهزتها فى اهتمام :

ـ هذا ما نسعى لمعرفته .

راقب (رمزى) شاشة جهازها فى اهتمام ، قبل أن يسألها :

ـ وما الذى يفعله هذا الجهاز بالضبط ؟!

أجابته (نشوى) بدلاً منها :

ـ إنه يعيد بناء كل الذبذبات ، التى تردَّدت فـى المكـان ، وكـل الانبعاثات الإشعاعية ، التى عبرت هواءه ، خلال الدقائق الثلاثين الماضية ، حتى نحصل على تصورّ إليكترونى رقمـى ، لمـا حـدث فى هذه البقعة بالتحديد .

بدا عليه اهتمام بالغ ، وهو يتساءل :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابته (سلوى) :

ـ نحن نتحدَّث عن بعضِ صور الطاقة ، والقـاعدة العلميـة تقول : إن الطاقة لا تفنى ، ولا تُستحدث من عدم .. إنهـا تظل موجـودة

حولنا ، فى صورة أو أخرى ، وكل ما تفعله أجهزتنا ، هو أن تدرس كل ما يحيط بنا من صور الطاقة المختلفة ، وتعمل على إعادتها إلى صيغها الأولى ، وإزالة تشتُّتها ، على نحو يسمح بإعادة تكوينها ، أو تكوين صورة وهمية منها على الأقل .

هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ أمر يبدو أشبه بالخيال .

مطَّت (نشوى) شفتيها ، وواصلت العمل على أجهزتها بدورها ، وهى تقول ، فى حزم بدت معه أشبه بأبيها :

ـ التلفاز نفسه يبدو أشبه بالخيال ، لو طرحت تصوّره على علماء القرن التاسع عشر ، أو حتى النصف الأوّل من القرن العشرين .

غمغم (رمزى) :

ـ هذا صحيح .

قالها ، وراح يتابع تلك الصورة النقطية ، التى راحت تتكوَّن فى بطء ، على شاشة جهاز (سلوى) ..

وتتكوَّن ..

وتتكوَّن ..

ومع وضوحها ، بدأ مشهد ما يتحرَّك على الشاشة ..

مشهد أشبه بصورة شبحية نصف وهمية ، ومتحرِّكة ..

كانت الأجهزة المتطوِّرة تفعل بالضبط ما شرحته (نشوى) و(سلوى) ..

تجمَع الطاقة ، وتعيد صياغتها ..

وتكوينها ..

وعرضها ..

وبكل الاهتمام والانتباه ، وبتركيز كامل ، ودون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، راح الثلاثة يتابعون المشهد على الشاشة ، وهو يتتابع ..

ويتتابع ..

ويتتابع ..

وأمام عيونهم ، بدت صورة مموَّهة لـ (نور) و(أكرم) ، وهما يعدوان نحو سيارة الأوَّل الصاروخية ..

ويثبان داخلها ..

ثم يهدر محركها ، و ...

وتهبط عليها حزمة من الأشعة فجأة ..

وتحيط بها ..

وتتزايد مستويات الطاقة ، وترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

ثم اتسعت عيون ثلاثتهم عن آخرها ، مع ما حدث فى اللحظة التالية ..

وبكل انفعال الدنيا ، هتفت (سلوى) :

ـ هل رأيتما هذا ؟!

وهتف (رمزى) :

ـ من كان يتصوَّر أن هذا ما حدث ؟!

أما (نشوى) ، فقد قفزت من مكانها ، هاتفة :

ـ هل تعلمان ما الذى يعنيه هذا ؟!

ثم ارتفعت عيناها المذعورتان ، إلى البقعة التى اختفت فيها السيارة ، قبل أن تضيف فى انفعال :

ـ إنه يعنى أن أبى و(أكرم) والسيارة لم يغادروا المكان لحظة واحدة ..

وارتجفت سبَّابتها ، وهى تشير إلى المكان ، مستطردة :

ـ إنهم جميعًا هنا .. أمامنا .

واتسعت عيون (سلوى) و(رمزى) أكثر ..

فالحقيقة ، التى أكَّدتها الأجهزة المتطوِّرة ، كانت عجيبة ومدهشة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

لدقيقة كاملة تقريبًا ، لم ينبس (نور) أو (أكرم) ببنت شفة ، وهما يُحدِّقان فى وجه ذلك الآلى ، الذى يشبه تمامًا وجه المقاتل الأطلنطى الآلى الأخير (س ـ 18) ، قبل أن يقطع (نور) حبل الصمت الرهيب ، وهو يقول :

ـ وكيف ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى انتفض جسد (أكرم) ، وكأنما استيقظ من سبات عميق ، وهتف فى عصبية :

ـ نعم .. كيف تتصوَّر أننا سنصدق هذا ؟!

أشار إليه (نور) فى توتر ، وهو يسأل الآلى :

ـ كيف حدث هذا ؟!

قال الآلى فى هدوئه العميق :

ـ إنها قصة طويلة يا سيِّد (نور) ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ليس لدى وقت لسماعها .. أريد معرفة الجواب مباشرة .. وبأقل كلمات ممكنة .

هزَّ الآلى رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل يا سيِّد (نور) .. برنامجى يحتم أن أروى لكما القصة كاملة ، ودون إغفال أية تفاصيل .

ثم أشار بسبَّابته إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ لأنك وحدك يمكنك أن تجد الحل .

هتف (نور) :

ـ أى حل ؟!

عاد الآلى إلى وقفته الجامدة ، وهو يجيب بصوته الهادئ العميق :

ـ الحل لمنع هذا الخطر ، الذى يهدِّد بفناء الأرض ، والمجموعة الشمسية كلها ، كبداية لعهد ديكتاتورى وحشى رهيب ، يسود معظم أنحاء الكون .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ أى قول عبثى هذا ؟! إنك تتحدَّث عن افتراضات وهمية ، وأمور قد تحدث أو لا تحدث .

قال الآلى بنفس الهدوء :

ـ بل أتحدَّث عن واقع يا سيِّد (أكرم) .. واقع عايشته أنت نفسك ، وعايشه السيِّد (نور) ، و ...

قاطعه (نور) فى حدة :

ـ عم تتحدَّث بالضبط ؟!

أجابه الآلى فى عمق :

ـ عن جزء من القصة الطويلة ، التى لابد وأن تعرفا كل تفاصيلها ، قبل أن نبدأ رحلتنا .

ردَّد (نور) ، فى توتر بالغ :

ـ رحلتنا ؟! أيةَ رحلة ؟!

أما (أكرم) ، فقد بلغ غضبه وعصبيته ذروتهما ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا .. لقد سئمت تلك الألغاز المتوالية ، فإما أن تفصح عما لديك ، أو تعيدنا إلى حيث كنا ، وتعود من حيث أتيت .

قال الآلى فى هدوء ، وهو يتجه نحو جزء آخر من الجدار :

- برنامجى لا يشمل هذا أيضًا .

أدار (نور) عينيه ، فى توتر بالغ ، إلى الفقاعة الكبيرة ، التى تنقل مشهد ذلك العملاق الهائل ، وهو يتجاوز الدفاعات العسكرية لمدينة (القاهرة) الجديدة ، بعد أن سحقها سحقًا ، ثم يتجه بخطواته الهادئة إلى العاصمة ..

وفى لا مبالاة أوضحها المشهد ، راحت قدماه المعدنيتان الهائلتان تسحقان كل ما يعترض طريقه ، من سيارات وآلات ..

وحتى البشر ..

ومع المشهد الدموى الرهيب ، هتف (نور) :

- ألا يشمل برنامجك وسيلة لكسب الوقت ، قبل أن تتحطم عاصمة دولتى تمامًا ، وتتحولّ إلى مدينة من الموتى ، ومحيط من الدم ؟!

التفت إليه العملاق ، وهو يتوقّف نحو الجزء الآخر من الجدار ، قائلاً :

- كل شىء هنا معد لكسب الوقت .

وحرك راحته أمام الجزء الآخر من الجدار ، مضيفًا بمنتهى العمق :

- كل الوقت .

مع حركته ، تموّج ذلك الجزء من الجدار ، كما حدث مع سابقه ، ثم بدأ فى الذوبان ، وخرجت منه هذه المرة فقاعتان صغيرتان ..

فقاعتان لهما لون ذهبى جميل ، سبحتا فى الهواء فى نعومة ، حتّى توقفتا أمام جسد الآلى مباشرة ، فقال (أكرم) فى عصبية :

- ما الذى سترينا إياه هذه المرة ؟!

أجابه الآلى بكل الهدوء :

- القصة كلها .

كانت عينا (نور) معلقتين بالفقاعة الأولى ، التى بدت داخلها قوات الجيش المصرى الاحتياطية ، وهى تشن هجومًا انتحاريًّا أخيرًا ، على ذلك العملاق الآلى الرهيب ، بالأسلحة غير التقليدية ، وقلبه يخفق بمنتهى العنف ، وهو يتساءل :

- ألا يمكنك أن تسرع إذن بالله عليك ؟!

أما (أكرم) ، فهتف فى عصبية :

- ولماذا فقاعتان هذه المرة ؟!

بدا صوت العملاق أكثر عمقًا ، وهو يجيب :

- اختصار الوقت ليس أحد الأسباب ، لو تصوّرتما هذا ، فكما أخبرتكما .. كل شىء هنا مؤهل لكسب كل ما تحتاجان إليه من وقت .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هذا لا يجيب سؤالى ..

رفع الآلى راحتيه أمامه ، ووضعهما خلف الفقاعتين الذهبيتين الصغيرتين تمامًا ، وفردهما عن آخرهما ، وهو يقول :

ـ عيونكما لن تجدى هذه المرة .

تساءل (نور) ، فى حذر متوتر :

ـ ولماذا ؟!

تابع الآلى ، وكأنه لم يسمعه :

ـ فالتجربة كلها عشتماها من قبل .. بكل وأدق التفاصيل ، ولا جدوى من رؤيتها مرة أخرى .

ردَّد (أكرم) ، فى دهشة عصبية :

ـ عشناها من قبل ؟!

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ، وهو ينقل بصره فى توتر بالغ ، بين الفقاعتين الذهبيتين ، اللتين تألَّقتا على نحو عجيب ، فى حين قال الآلى ، متابعًا فى هدوء :

ـ كل شىء غارق هناك .. فى بحر مظلم .. فى أعمق أعماق عقليكما .. غارق فى نسيان صناعى .. غارق تمامًا ..

قالها ، وصوته يزداد عمقًا أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى كل لحظة ، كان تألُّق الفقاعتين يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

وتابع الآلى ، وعيناه تزدادان بريقًا ، مع تألُّق الفقاعتين الذهبيتين :

ـ وكل ما علينا هو أن ندفعهما إلى الطفو .. إلى الصعود إلى سطح عقليكما ، وحافة ذاكرتكما ..

وارتفع صوته بغتة ، وهو يهتف :

ـ الآن .

ومع هتافه ، اندفعت الفقاعتان الذهبيتان فجأة ، فى سرعة خاطفة ، متجهة نحو رأسى (نور) و(أكرم) مباشرة ..

وقبل حتى أن يتراجع أحدهما أو يبتعد ، ارتطمت الفقاعتان برأسيهما ..

وانتفض جسداهما بمنتهى العنف ..

ثم انطلق عقلاهما ..

وبدأت رحلة عجيبة ..

ورهيبة .

* * *

5ـ الوهــج ..

« من القيادة إلى سرب الهجوم .. استعد لاستخدام الأسلحة الخاصة .. »

تردَّد النداء ، داخل كابينة مقاتلة قائد السرب ، الذى ضغط أزرار التسليح والاستعداد فى سرعة ، وهو يجيب :

ـ من السرب إلى القيادة .. تم تجهيز الأسلحة الخاصة ، وفى انتظار الأمر بالهجوم ..

كان سرب المقاتلات الجديدة ، ينطلق فى مسار مدروس ، نحو أطراف (القاهرة) الجديدة ، حيث توقَّف ذلك العملاق الآلى عن مواصلة الهجوم ، بعد أن اكتسح خط التأمين العسكرى الأخير ، وكأنما يحظى بفترة استراحة محدودة ، قبل مواصلة القتال ..

ومن بعيد ، بدا قويًّا هائلاً ، جامدًا ، يُحدِّق فى الفراغ بعينين آليتين ثابتتين ، والمقاتلات تقترب منه ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وداخل كابينة قائد السرب ، تردَّد نداء القيادة مرة أخرى :

ـ من القيادة إلى سرب الهجوم .. اعملوا على تركيز أسلحة الهجوم الخاصة على الساقين .. إيقاف ذلك الشىء ، يعد هدفًا إستراتيجيًّا ، لو تعذَّر القضاء عليه تمامًا .

أجاب قائد السرب ، وهو ينقل الأوامر إلى سربه إليكترونيًّا :

ـ عُلِمَ ، وينفَّذ .

اقترب مع سربه من منطقة الهدف ، والأوامر على اللوحة الرقمية تشير إلى درجة الاستعداد القصوى للهجوم ..

وفى كبائن المقاتلات ، أضىء زر الاستعداد الأقصى ، فتحركت سبَّابات المقاتلين ، نحو أزرار الإطلاق ، ووصلوا الاقتراب من الهدف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

« ما الذى يفعله ذلك الشىء بالضبط ؟! »

ألقى القائد الأعلى للمخابرات العلمية السؤال ، وهو يتابع الموقف على شاشات الرصد الخاصة فى مكتبه ، فأجابه الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ يعيد الشحن .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتساءل :

ـ الشحن ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيادة القائد الأعلى .. أجهزة رجالى تشير إلى انخفاض تدريجى سريع ، فى مستويات الطاقة ، فى المنطقة المتاخمة للأطلال القديمة .. كل المولدات تنخفض طاقاتها ، والأضواء تخبو ، والأجهزة تتوقَّف .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ باختصار ، إنه يمتص كل ما يحيط به من طاقة ؛ استعدادًا لشن هجوم جديد .

راقب القائد الأعلى الموقف لحظة ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه ، قبل أن يقول فى اهتمام شديد :

ـ إذن ، فهو يمتص طاقتنا ، ليقاتلنا بها .

وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ هذا ما يبدو .

اعتدل القائد الأعلى على مقعده بحركة حادة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ افصل الطاقة عن المنطقة إذن .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) فى دهشة ، وحدَّق لحظة فى وجه القائد الأعلى ، قبل أن يهتف :

ـ رباه ! كيف لم يخطر هذا ببالنا ؟!

قالها ، وهو يلتقط جهاز الاتصال الخاص به من جيبه ، ويضغط أزراره فى سرعة ، هاتفًا :

ـ هنا الدكتور (جلال) .. اسمعونى جيدًا ، ونفذوا أوامرى فورًا ، وبأقصى سرعة ممكنة .. افصلوا الطاقة عن نصف العاصمة ، المتاخم للأطلال القديمة .. الآن .

لم تمض ثوان قليلة على قوله ، حتى نقلت شاشات الرصد كلها انقطاع التيار ، وتوقف كل مصادر الطاقة ، فى نصف العاصمة ، حيث يقف ذلك العملاق الآلى ..

وفى اللحظة نفسها ، سجَّلت الأجهزة توقف ذبذبة الشحن ، التى تنبعث من داخله ..

وبكل حماسه ، هتف الدكتور (جلال) :

ـ رباه ! إنها فكرة عبقرية يا سيِّدى .. لقد فقد ذلك الشىء مصادر طاقته ، ولم يعد باستطاعته مواصلة الهجوم ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت حازم صارم ، عبر أجهزة الاتصال الخاصة ، المتصلة بقيادة القوات المسلَّحة مباشرة ، يقول :

ـ من القيادة إلى السرب .. ابدأ الهجوم .. فورًا .

هتف الدكتور (جلال) فى انزعاج :

ـ رباه ! لقد بدءوا الهجوم ، بالأسلحة غير التقليدية .

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ رباه !! كل هذه الطاقة .

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، بدأ السرب الطائر هجومه ..

وأطلق أسلحته غير التقليدية ، نحو العملاق الآلى مباشرة ..

وكان الانفجار هائلاً ..

هائلاً إلى درجة رهيبة ..

وأكثر مما يمكن تصوّره ..

ومن الناحية العلمية والمنطقية ، كان ينبغى أن يطيح الانفجار بذلك العملاق الآلى ، وبكل ما يحيط به ، فى دائرة قطرها كيلو متر كامل ..

وأن ترتج (القاهرة) الجديدة كلها من جراء هذا ..

بمنتهى العنف ..

إلا أن شيئًا من هذا لم يحدث ..

على الإطلاق ..

لقد حدث الانفجار بالفعل ..

وعلى نحو هائل رهيب ..

إلا أنه لم يتجاوز دائرة محدودة للغاية ، حول العملاق الآلى تمامًا ..

ثم بدا وكأن كل شىء قد تجمَّد ..

النيران ..

الوهج ..

الدخان ..

الأشعة ..

وفجأة ، سجلّت الأجهزة عودة نبذبات الشحن ، التى تنبعث من داخل العملاق الآلى ..

وبقوة هائلة ..

قوة تبلغ عشرات أضعاف قوتها السابقة ..

وتتزايد فى كل ثانية أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبكل ذعر الدنيا ، اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يردِّد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى!

وامتقع وجه القائد الأعلى فى شدة ..

ولكنه لم ينبس ببنت شفة ..

فعلى شاشات الرصد كلها ، اعتدل العملاق الآلى فى قوة ، وتألَّقت عيناه الكبيرتان ، وسط خلقته الآلية البشعة ، ثم تألَّق جسده كله ، على نحو عجيب ..

رهيب ..

مخيف ..

ودون أدنى شك ، بدا من الواضح أن الهجوم التالى سيصبح عنيفًا .

ساحقًا .

ومدمرًا ..

إلى الحد الأقصى ..

والأخير ..

* * *

ضغطت أصابع (نشوى) أزرار لوحة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، وتعيد توجيه آلات الرصد الرقمية ، نحو البقعة التى اختفت فيها سيارة والدها ، قائلة :

ـ لو عمل برنامجى هذا كما أتمنى ، فسيمكنه رصد الموقع بدقة أكثر ، وتحديد موقف السيارة ، التى يشير برنامج إعادة تكوين الطاقة إلا أنها ما زالت هنا ، على نحو أو آخر .

هزَّت (سلوى) رأسها ، قائلة فى توتّر :

ـ هذا ما زال يدهشنى فى الواقع ، فباستثناء ما تؤكده شاشات الأجهزة ، من أن السيارة قابعة فى موقعها ، وبداخلها (نور) و(أكرم) جامدين ، لا تصدر عنهم أدنى حركة ، لا يوجد أى دليل آخر ، يمكن أن يؤيِّد وجودها أو وجودهم.

غمغمت (نشوى) وهى تبدأ تشغيل برنامجها الجديد :

ـ هذا أمر يحتاج إلى كل جهدنا وطاقتنا يا أمى ؛ فنحن أمام لغز عجيب ، يتعارض مع كل قواعد العقل والمنطق ..

والعلم أيضًا .

تدخَّل (رمزى) فى الحديث ، قائلاً :

ـ ما يمكننى فهمه ، هو أن السيارة ليست هنا بكيانها المعروف ، فالمنطقة التى كانت تحتلّها ، أصبحت الآن مجردُ فراغ ، بكل ما تحمله

كلمة فراغ ، من معان فيزيائية علمية ؛ إذ لا تحـوى أى كيان مـادى ملموس ، وعلى الرغم من هذا ، فأجهزة الرصد المتطوِّرة ، تشير إلى أنها ما زالت هنا .. قابعة فى صمت وسكون ، وكأنها لم تغادر قط .

قالت (سلوى) فى توتر ، وهى تتابع شاشة جهاز (نشـوى) فى اهتمام شديد :

ـ بالضبط .

كانت تود أن تستطرد أكثر ، فى شرح هـذا الموقف المعقَّد ، إلا أن ما ظهر على شاشة جهاز (نشوى) ، جذب انتباههـا بشدة ، وسيطر على كل مشاعرها ..

بلا استثناء ..

ففى سرعة متوسِّطة نسبيًا ، راح جهـاز الرصـد الرقمـى ، المتصل بكمبيوتـر (نشوى) ، يرسم صورة لمستويات الطاقة فوق الطبيعية ، فى المنطقة التى اختفت فيها سيارة (نور) ..

كان يقيس درجة تأيُّن ذرات الهواء ، المشحونة بطاقة إستاتيكية ضئيلـة للغايـة ، علـى نحـو بـالغ الدقـة ، ويرسم صـورة رقميـة خاصة للغاية ، تسترشد بشعاع فوق بنفسجى ، يتردَّد مع موجات كهرومغناطيسية دقيقة ..

وعلى الرغم من تعقيده الشديد ، راح البرنـامج يرسم صورة باهتة ، راحت تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وفى كل لحظة ، كان قلب (رمـزى) و(سلوى) و(نشـوى) يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

وأمام عيون ثلاثتهم ، تكوَّنت صورة سيارة (نور) الصاروخية ، وهى قابعة فى مكانها ، ساكنة ..

جامدة ..

باردة ..

ومع وضوح الصورة أكثر ، ظهر (نور) و(أكرم) داخلها ..

كانا يجلسان فى صمت ..

وسكون ..

وهدوء ..

تمامًا كتمثالين من الشمع ، فقدا كل لمحة من لمحات الحياة .. ودون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، للتعليق على ما يرونه على

الشاشة أمامهم ، ضغطت أصابع (نشوى) أزرار لوحة الكمبيوتر ، فبدأت آلات الرصد الرقمية دورة هادئة ناعمة ، حول منطقة الاختفاء ..

وعلى الشاشة ، بدا أن آلات الرصد تستعرض السيارة وراكبيها ، لتصنع لهما صورة مجسَّمة ، ثلاثية الأبعاد ..

وفى خفوت ، على الرغم من انفعالها الجارف ، غمغمت (سلوى) :

ـ أهما .. أهما ..

لم تستطع إكمال سؤالها ، ولسانها لا يطاوعها على نطق الكلمة ، فالتقط (رمزى) طرف الحديث ، وسأل فى اندفاع :

ـ أهما على قيد الحياة ؟!

لم تكن هناك لمحة واحدة ، يمكن أن تجيب السؤال ، مما يبدو على شاشة جهاز (نشوى) ، إلا أنها قالت فى حزم ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر مرة أخرى :

ـ أجهزة الرصد لا يمكنها التيقُّن ، من هذه المسافة ، فهما يبدوان جامدين تمامًا ، إلا أننا نستطيع البحث عن أى دليل .

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ـ أيمكنك رصد منطقة الصدر عند (نور) ، من مسافة أقرب ، وبدقة أكثر ؟

غمغمت فى حزم :

ـ بالتأكيد .

سألته (سلوى) فى لهفة قلقة ، وهى تتابع حركة آلات الرصد الرقمية فى اهتمام :

ـ ما الذى تتوقَّع رصده بالضبط ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ ارتفاع وانخفاض صدر (نور) ..

ثم التفت إليها ، مضيفًا فى توتر :

ـ أنفاس الحياة ..

خفق قلبها فى عنف ، وعيناها معلقتان بالشاشة ، وآلات الرصد الرقمية تقترب من صدر (نور) ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وضغطت أصابع (نشوى) الأزرار مرة أخرى ؛ لرصد أية اهتزازات دقيقة ، و ...

وفجأة ، انقطع التيار الكهربى دفعة واحدة ، وانطفأت كل الشاشات .. ومع انقطاعه المباغت ، انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، وهى تصرخ :

ـ لا .. ليس الآن .

وتراجع (رمزى) كالمصدوم ، فى حين هتفت (نشوى) فى توتر شديد ، وهى تنقل جهازها إلى الطاقة الداخلية :

ـ لم نخسر شيئًا .. الأجهزة كلها مزوَّدة ببطاريات داخلية ، ستعمل خلال ثوان قليلة ، وستحفظ كل ما سجلته آلات الرصد ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، دوى ذلك الانفجار العنيف المكتوم ، بالقرب من أطلال (القاهرة) القديمة ..

وظهر وهج النيران والدخان ..

ثم انحسر بسرعة ..

بسرعة تفوق المعتاد ..

والمنطقى أيضًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى عادت فيها الأجهزة وآلات الرصد إلى العمل ، ظهر ذلك التألُّق الرهيب ، عند منطقة الأطلال ..

تألُّق بدا ، وكأنه شمس جديدة ، تشرق على العاصمة ، مع اقتراب ساعة الغروب ..

شمس لا تحمل ضوء وسحر ودفء شمسنا المعروفة ..

بل شمس تحمل الموت ..

والخطر ..

والخراب ..

والدمار ..

بلا حدود ..

* * *

دوى الانفجار هائلاً عنيفًا ، وارتفع إلى السماء وهج رهيب ، مع كتلة مخيفة من النيران ، انتشرت على مساحة واسعة ، لتصنع حاجزًا من اللهب ، بدا وكأنه يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

ثم فجأة ، وثبت سيارة قوية ، عبر حاجز اللهب ، على نحو مدهش ، وطارت فوق كتل الصخور السوداء ، تحت السماء الحمراء الدامية ، قبل أن ترتطم بالأرض ، وتواصل اندفاعها ، فى براعة تشف عن مهارة وجسارة قائدها ..

وقبل أن تبتعد السيارة القوية ، لمائة متر فحسب ، قفزت ثلاث آليات ضخمة قوية خلفها ، عبر حاجز النيران نفسه ، وراحت تمطرها بحزم من الأشعة القاتلة القوية ..

وفى براعة مدهشة ، انحرف (نور) بالسيارة ، متفاديًا حزم الأشعة ، التى تفجَّرت فيما حوله ، وقطع الصخور السوداء ، التى تطايرت مع انفجارها ، وهو يهتف بصديقه (أكرم) :

ـ إنهم خلفنا مباشرة ، وسرعة آلياتهم تفوق سرعة سيارتنا ، بمرتين على الأقل .

حمل (أكـرم) مدفعًا أيونيًا قويًا ، وهو يحل حزام مقعده ، وينهض واقفًا ، ويستدير إلى الآليات الثلاث ، قائلًا فى صرامة :

ـ لم تكن المطاردات أبدًا قضية سرعة .

وصوَّب مدفعه الأيونى فى إحكام إلى مقدِّمة إحدى الآليات الثلاث ، مستطردًا :

ـ إنها قضية براعة .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط زنـاد مدفعه الأيونـى ، فانطلقت منه شحنة قوية ، تفجَّرت فـى الصخور السـوداء ، علـى مسافة متر واحد من الآلية الأولى ، التى واصلت اندفاعها ، غير مباليـة بالانفجار ، أو بالصخور المتطايرة ، و ...

ولكن مقدِّمتها سقطت بغتة ، فى الحفرة التى صنعها الانفجار ..

واختل توازن الآلية فى عنف ..

وهوت مقدِّمتها إلى الأمام ، فارتفعت مؤخرتها فى سرعة ، و ...

وطارت فى الهواء ..

طارت بكل ثقلها ، وضخامتها ..

ثم ارتطمت بالأرض .. بمنتهى العنف ..

وفى نفس لحظة ارتطامها ، هتف (نور) :

ـ تشبَّث يا (أكرم) .

ومع هتافه ، انحرف بالسيارة بحركة مباغتة ، ليثب بها نحو ممر ضيق ، بين جبلين بلوريين هائلين ..

وبكل قوته ، تشبَّث (أكرم) بجانب السيارة ، صائحًا فى حماس :

ـ هيا .. أرهم كيف تكون القيادة يا (نور) .

ولم يعلِّق (نور) علـى صيحتـه ، وهو يواصل اندفاعه نحو الممر الضيق ، والآليتان الأخريان تقتربان منه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وأطلقت كل منهما أشعتها نحو السيارة ..

ودوى انفجار ، خلف السيارة مباشرة ..

وآخر إلى يمينها ..

وثالث فوقها ..

وصوَّب (أكرم) مدفعه الأيونى مرة أخرى ، صائحًا :

ـ فليكن أيها الأوغاد .. سأريكم كيف يقاتل الأرضيون فى عالمكم .

انطلق (نـور) بالسيارة ، نحـو أحد الجبلين البلَّوريين مباشـرة ، وهو يهتف :

ـ الآن يا (أكرم) .. الآن .

وضغط (أكرم) زناد مدفعه ..

وانطلقت شحنة أيونية قوية ..

انطلقت هذه المرة نحو تل من الرمال الحمراء ، الممتزجة بذرات بلَورية صغيرة ، بدا وكأنه لا يتلاءم أبدًا مع الصخور السوداء ، المتناثرة فى المنطقة ، أو حتى مع الأحجار البلورية ، التى تساقطت من الجبلين الهائلين ..

ودوى انفجار عنيف ..

ومع الانفجار ، تصاعدت سحابة رهيبة من الرمال الحمراء ..

سحابة حجبت الرؤية تمامًا لبضع لحظات ..

ولكن الآليتين لم تتوقَّفا ..

لقد واصلتا انطلاقتهما ، لتجاوز السحابة الرملية الحمراء ، و ...

وتفجَّرت دهشة عارمة ، فى أعمق أعماق ركابهما ..

فمع عبور السحابة ، بدا الجبلان البلَوريان هائلين واضحين ، والممر الضيق بينهما طويلاً ممتدًا ..

وخاليًا ..

فعبر الممر ، وحتى نهايته ، لم يكن هناك أثر لسيارة (نور) و(أكرم) ..

لم يكن هناك أدنى أثر ..

« لقد خدعناهم مرة أخرى .. »

هتف (أكرم) بالعبارة فى حماس ، وهو يلوِّح بمدفعه الأيونى ، داخل ذلك الوكر السرى ، فى قلب الجبل البلَورى ، فابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يغادر السيارة ، قائلاً :

ـ نعم يا (أكرم) .. لقد فعلناها مرة أخرى ..

ظهر من ركن المكان فريق من الرجال ، لهم بنية قوية متينة ، واندفعوا نحو (نور) و(أكرم) ، وهم يهتفون فى حماس :

ـ كنا نعلم أنكما ستفعلانها .

تطلَّع (نور) إلى وجوههم الصفراء الداكنة ، وهو يحاول أن يبتسم فى هدوء ، قائلاً :

ـ ربما لأن لدينا خبرة ، فى هذا المضمار .

أطلق (أكرم) ضحكة ظافرة عالية ، ولوَّح بمدفعه مرة أخرى ، هاتفًا فى حماس :

ـ بالتأكيد .. إنه ليس أوَّل غزو فضائى نواجهه .

كان يبدو وكأنما يجد سعادته الجمة فى صفوف المقاومة ، التى تعيد إلى ذهنه بطولات ماضية ، فى حين ظلَّ (نور) صامتًا ، يحافظ على ابتسامته فى صعوبة ، ويدير عينيه فى كل ما حوله ، فى اهتمام بالغ ..

إنه يعرف جيدًا أين هو ..

من هؤلاء ..

ومن يقاومون ..

يعرف طبيعة هذا العالم ..

وسكانه ..

وحتى غزاته ..

كل شىء محفور هناك ، فى ركن ما من ذاكرته ..

ولكنه ، ولسبب ما ، لا يدرى لماذا هو هنا !

ولا كيف بدأ كل هذا ؟!

بل ، ولا يدرى حتى كيف يمكن أن يقاوم أولئك الغزاة ، الذين يمثلون الخطر !

أكبر خطر واجهه الكون كله !

على الإطلاق .

* * *

6ـ الطغـاة ..

« أما زال يواصل الشحن ؟! »

ألقى القائد الأعلى للمخابرات العلمية سؤاله ، فى توتر ملحوظ ، وهو يتابع ، على شاشات الرصد المختلفة ، ذلك الآلى العملاق ، الذى يتزايد تألقه فى كل لحظة ..

ويتضاعف ..

ويتطوّر ..

وفى توتر أكثر ، وعصبية بلا حدود ، غمغم الدكتور (جلال) ، وهو يراجع البيانات ، التى تتوالى على شاشة جهاز الكمبيوتر الصغير فى راحته :

ـ نعم .. لستَ أدرى لماذا يحتاج إلى كل هذه الطاقة الهائلة ؟! لقد هزم قواتنا كلها ، بأقل من عُشر ما اختزنه حتى الآن ، من طاقة الأسلحة غير التقليدية .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ يخيفنى مجرّد البحث عن جواب هذا السؤال .

تمتم الدكتور (جلال) :

ـ كلنا هذا الرجل .

وصمت لحظة ، تابع خلالها بيانات شاشته ، التى تتوالى فى سرعة ، حاملة فيضًا من المعلومات ، قبل أن يتابع :

– وفقًا لما سجلته أجهزتنا ، فهو يختزن الآن ستة عشر ضعف الطاقة ، التى استخدمها لتدمير قواتنا ، وسحقها عن آخرها ، وخبراؤنا يقولون ، إنه وفقًا لما صنعه من قبل ، يكفيه ما اختزنه حتى الآن ، ليمحو ، ليس (القاهرة) الجديدة وحدها ، ولكن (مصر) كلها ، من خريطة العالم .. وإلى الأبد .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، وهو يردِّد :

– وما زال يواصل الشحن ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه ، قائلاً :

– ما زالت هناك طاقة هائلة من حوله .

أطلق القائد الأعلى زفرة شديدة التوتر ، من غياهب صدره ، قبل أن يقول ، فى عصبية واضحة :

– استخدام الأسلحة غير التقليدية بهذه السرعة ، لم يكن أبدًا بالقرار الحكيم .

قال الدكتور (جلال) فى أسى :

– للأسف .. لم يتح لنا الوقت أبدًا لإبلاغهم ما لدينا .

حمل صوت القائد الأعلى وملامحه ، كل ما يعتمل فى أعماقه من ضيق ، وهو يقول :

– إنهم لم يمنحونا الفرصة لهذا .. بل ولم يحاولوا حتى استشارتنا ، قبل أن يضربوا ضربتهم .

غمغم الدكتور (جلال) :

– قدَّر الله ، وما شاء فعل .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى حزم ، وهو يقول :

– قول حق ، يراد به باطل يا دكتور (جلال) ؛ فقدر الله (سبحانه وتعالى) ليس مسئولاً ، عن إهمال المنهج العلمى فى التفكير ، وديكتاتورية اتخاذ القرار .

ثم تراجع فى مقعده ، وأطلق زفرة أخرى ، مضيفًا :

– ولكنك على حق .. ما حدث قد حدث وانتهى الأمر ، وكل ما يمكننا فعله ، فى هذه اللحظة ، هو أن تتضافر جهودنا ، وتتآزر عقولنا ؛ للبحث عن سبيل للخروج من الأزمة ، بأقل خسائر ممكنة .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

– أزمة ؟! إنها كارثة !

ثم أشار إلى شاشات الرصد ، مستطردًا :

ـ ثم إن جهودنا كلها تتوقَّف على ما ينوى ذلك الشىء فعلـه ، بعد أن يكمل شحن طاقته الهائلة هذه .

مال القائد الأعلى إلى الأمام ، متسائلاً فى قلق :

ـ هذا هو السؤال الحقيقى الآن .. ما الذى ينوى ذلك القاتل الآلى فعله ، عندما يشحن كل ما يحتاج إليه من قوة ؟!

وحمل صوته قدرًا هائلاً من الاهتمام المتوتر ، وهو يضيف :

ـ ألم يدرس خبراؤنا الاحتمالات المفترضة لهذا ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى عصبية :

ـ الفرضيات التى وضعوها ، انتهت كلها إلى فرضية رهيبة .

غمغم القائد الأعلى ، وهو يشبك كفيه أمام وجهه :

ـ لن يدهشنى هذا .

تابع الدكتور (جلال) دون توقُّف :

ـ فرضيتهم تقول إن ذلك الآلى الرهيب مجرَّد طليعة غزو فضائى قادمة ، ومهمته هى اختبار القوة ، ودراسة أرض المعركة ، ووسائل مقاومتنا القصوى ، قبل أن يبدأ الغزو الفعلى .

قال القائد الأعلى فى حزم ، وهو يتابع المشهد على الشاشة :

ـ السؤال التالى إذن هو : أين الغزاة الذين صنعوه ؟! أين

ينتظرون ؟! وما الزمن الذى يحتاجون إليه ، لبلوغ كوكبنا ، بعد أن يبلغهم عملاقهم الآلى القاتل ، إن كل شىء مهيأ لاستقبالهم ؟!

ضغط الدكتور (جلال) أزرار الكمبيوتر ، قبل أن يقول :

ـ سأطلب من علماء الفلك البحث عن إجابة هذه الأسئلة .. ولكن الغزاة ليسوا داخل حدود مجموعتنا الشمسية بالتأكيد ، وإلا لرصدتهم مجسَّات الأمن الفضائية ، المنتشرة عبر المجموعة ، وأبلغتنا بأمرهم فورًا .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يتمتم :

ـ هذا لا يخفف من توترى .

ألقى الدكتور (جلال) أوامره إلى فريق علمائه ، ثم التفت إليه ، قائلاً :

ـ سيصلنا الجواب خلال دقائق .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، وعاد يطلق زفرة ملتهبة ، قبل أن يغمغم :

ـ وهل تبقَّت لنا هذه الدقائق ؟!

امتقع وجه الدكتور (جلال) ، وهو يتطلَّع إلى شاشات الرصد ، التى بدت عليها صورة العملاق الآلى ، وقد بلغ ذروة مدهشة من التألق ، تكاد تغشى الأبصار ، وتكررَّ السؤال فى أعماقه فى ارتياع ..

تُرى هل تبقَّت لهم هذه الدقائق القليلة بالفعل ، قبل أن يضرب ذلك القاتل الآلى ضربته الأخيرة ؟!

هل ؟!

* * *

خفقت قلوب (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) فى قوة ، وهم يتطلعون بمنتهى الترقُّب إلى شاشة جهاز الأخيرة ، التى تنقل ما سيسجله نظام الرصد الرقمى الدقيق ، الذى اقترب إلى أدنى مسافة ممكنة ، من صدر (نور) ..

ولثوان ، بدت أشبه بدهر كامل ، لم تنقل آلات الرصد الرقمية لمحة واحدة ، توحى بأن (نور) و(أكرم) على قيد الحياة ، داخل سيارة الأوَّل ، التى ما زال شبحها متواجدًا ، فى نفس موقع اختفائها ..

ثم فجأة ، أعلن الكمبيوتر وجود حركة ما ..

حركة تنفسية بطيئة وخافتة للغاية ، أعلن عنها صعود وهبوط صدر (نور) ، بمعدَّل يستحيل أن تلحظه العين المجرَّدة ..

وبكل الحماس والارتياح ، هتف (رمزى) :

ـ حمدًا لله .. إنهما على قيد الحياة .

أشارت (سلوى) إلى البيانات على الشاشة ، وحمل صوتها اضطرابًا شديدًا ، وهى تقول :

ـ ولكن .. ولكنه معدَّل تنفس منخفض للغاية .

تمتمت (نشوى) فى توتر :

ـ أربع مرات فى الدقيقة فحسب(*) .

هزَّ (رمزى) رأسه ، قائلاً فى حماس :

ـ هذا لا يهم .. المهم أنهما يتنفسان .

تساءلت (سلوى) :

ـ وهل يكفيهما هذا المعدَّل المنخفض للحياة ؟!

تردَّد (رمزى) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ إنه أقل من ربع المعدَّل البشرى العادى ، فى أوقات الراحة ، ولكن العلماء سجَّلوا معدلات أقل من هذا ، لدى رواد الفضاء فى ..

بتر عبارته فجأة ، وكأنما يخشى إكمالها ، فهتفت به (نشوى) فى حدة :

ـ فى ماذا ؟!

نقل بصره بين المرأتين ، قبل أن يجيب فى تردُّد :

ـ فى حالات السبات الصناعى العميق ، التى يوضعون فيها ، عند قيامهم برحلات فضائية طويلة وبعيدة .

(*) يبلغ متوسِّط التنفس ، فى الإنسان العادى (شهيق وزفير) ، حوالى 18 مرة ، فى الدقيقة الواحدة ، فى أوقات الراحة .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وحدَّقت فى الشاشة ، هاتفة فى ذعر :

ـ يا إلهى ! ماذا أصابهما ؟! ماذا جرى لهما ؟!

قالت (نشوى) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ السؤال الأهم هو : أين هما فعليًّا ؟!

استدارت إليها (سلوى) ، فى ارتياع أكثر ، ولكنها تابعت فى حزم ، ورثته عن والدها :

ـ الأجهزة تقول إنهما مع السيارة هنا ، وتقول أيضًا إنهما ليسا هنا ؟ لأنهما لا يحتلان المساحة الطبيعية من الفراغ ، وهذا يعنى أنهما هنا ، وليسا هنا !! ومهمتنا أن نصل إلى حل هذا اللغز المزدوج الرهيب ، قبل أن ..

صمتت لحظة ، ثم أضافت فى حزم أكثر :

ـ قبل أن تضيع فرصتنا فى استعادتهما .

خفق قلب (سلوى) خفقة إضافية عنيفة ، وشعرت بأنفاسها تتلاحق على نحو مقلق ، وهى تقول :

ـ لا .. لا ينبغى أن نسمح بهذا أبدًا .

ثم انتقلت إلى جهازها ، متابعة فى عصبية :

ـ إننى أواصل رصد الموقف ، منذ اللحظة الأولى ، وأجهزتى على وشك التوصُّل إلى نظرية علمية ، فى هذا الشأن .

غمغم (رمزى) :

ـ أتعشَّم هذا .

كان يحدِّث بها نفسه ، إلا أنها بلغت مسامع (سلوى) و(نشوى) ، فراحت كل منهما تعمل على أجهزتها بأقصى طاقتها ، فى حين استدار هو إلى ذلك الوهج المتألِّق فى الأفق ، والذى أحال ظلمة المساء إلى ما يشبه لحظات الشروق ، وعقله يتساءل عما إذا كانت هناك صلة مباشرة ، بين ذلك الغزو الفضائى ، الذى رصده محررو (مشيرة) ، واختفاء (نور) و(أكرم) العجيب !

وبكل معارفه وعلومه وخبراته ، راح يعتصر عقله ، للبحث عن جواب عقلانى ومنطقى ، و ...

« ها هى ذى .. »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى انفعال جارف ، وجسدها كله يرتجف فى لهفة ، وعيناها معلقتان بشاشة جهازها ، التى تراصت فوقها عشرات البيانات فى سرعة مدهشة ..

وفى سرعة ، نقل (رمزى) و(نشوى) بصريهما إلى الشاشة نفسها ، وهما ينتظران نتائج تحليل الأجهزة للموقف ،

مع البيانات التى تتسارع ..

وتتسارع ..

وتتسارع ..

ثم انطلق صفير خافت من الجهاز ، مع ظهور النتائج النهائية ، وثباتها على شاشته الكبيرة ..

وانطلقت شهقة قوية ، من حلق (نشوى) ..

وانعقد حاجبا (رمزى) ..

وانتفض جسد (سلوى) ، فى عنف أكثر ..

فالنتائج ، التى توصلت إليها الأجهزة مجتمعة ، كانت مدهشة ..

مدهشة ومخيفة ..

بلا حدود ..

* * *

« (أكرم) .. ماذا نفعل هنا ؟! »

ألقى (نور) السؤال على (أكرم) ، فى تفكير عميق ، جعل هذا الأخير يلتفت إليه فى دهشة ، قائلاً :

ـ نقاتل يا (نور) .

سأله (نور) بنفس الاهتمام :

ـ فى سبيل ماذا ؟!

أزاح (أكرم) مدفعه الأيونى جانبًا ، والتفت إليه ، مجيبًا فى حيرة :

ـ فى سبيل ما آمنا ونؤمن به دومًا يا (نور) .

تساءل (نور) :

ـ وهو ؟!

تضاعفت حيرة (أكرم) ، وهو يجيب :

ـ الحق والعدل يا (نور) .. حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وتحديد مستقبلها .. حقها فى حريتها ، واستقلاليتها .. العدل الذى أقرّه الخالق (عزّ وجلّ) ، واختاره اسمًا من أسمائه الحسنى ..

مال (نور) نحوه ، متسائلاً :

ـ عظيم .. السؤال التالى إذن هو : من نقاتل ؟! ولحساب من ؟!

حدّق (أكرم) فى وجهه ، بكل دهشة الدنيا ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وكأنما يحاول أن يقرأ ما يجول فى أعماقه ، قبل أن ينعقد حاجباه ، وهو يسأله فى حذر متوتر :

ـ (نور) .. ما معنى أسئلتك هذه ؟! إنك تعرف أجوبتها ، وربما بأكثر مما أعرفها أنا .

اعتدل (نور) فى مجلسه ، وهو يقول :

ـ يمكنك اعتبارها مراجعة مباشرة للأحداث .

ظلَّت حيرة (أكرم) واضحة فى عينيه وملامحه ، ودارت عيناه فى وجه (نور) كله ، فى تساؤل صامت ، قبل أن يتنهَّد ، قائلاً :

ـ فليكن يا (نور) .. لن نخسر شيئًا بمراجعة معلوماتنا معًا .

والتقط نفسًا عميقًا ، حاول أن يطفئ به لهيب حيرته ، ثم تابع :

ـ نحن هنا على كوكب (تاينور) .. أحد أكثر الكواكب تقدُّمًا فى مجرته ، والذى كان يحتل مكانة رفيعة ، فيما عُرِف باسم (اتحاد الكواكب) وهذا قبل أن يبدأ طغاة (روبوتاز) حربهم الاستعمارية الوحشية .

ردَّد (نور) ، وكأنما يحاول تثبيت المعلومة فى ذهنه :

ـ كوكب (روبوتاز) !

أومأ (أكرم) برأسه ، وواصل :

ـ نعم .. إنه ذلك الكوكب ، فى أطراف المجرَّة ، الذى قام سكانه بتطوير آلاتهم ، ومنحها أرقى درجة ممكنة من الذكاء الصناعى ، حتى تتولَّى كل الأعمال الشاقة والمهينة ، ولكن تلك الآلات عملت على تطوير نفسها أكثر وأكثر ، حتى أصبحت قوة وحشية مفكِّرة ، وانطلقت تسيطر على كل شىء فى كوكبها فى

البداية ، وتخوض حروبًا شرسة رهيبة مع سكانه ، حتى انتصرت عليهم ، واستعبدتهم ، ثم أفنتهم عن بكرة أبيهم .

كان عقل (نور) يدرك كل تلك الحقائق بالفعل ، على نحو أو آخر ، حتى أن ذهنه قد استعاد تلك الصورة البشعة ، التى يتحدَّث عنها (أكرم) ، فأغلق عينيه فى شدة ، وقاوم ذلك النفور الغريزى الشديد فى أعمقِ أعماقه ، من العنف والدمار ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، تاركًا (أكرم) يستطرد :

ـ ولأنها آلات بلا قلب ، وتمتلك ذكاءً صناعيًا رهيبًا ، فقد بدأت ترصد الكواكب الأخرى فى مجرتها ، وتعمل على تحسين وتطوير نفسها ؛ لتزداد قوة وذكاءً أكثر وأكثر ، ثم راحت تصنع أسلحة دمار مخيفة ، تفوق أقوى وأفظع الأسلحة المعروفة ، فى الكون كله .

توقَّف لالتقاط أنفاسه ، وهو ما زال يتطلَّع إلى وجه (نور) المغمض العينين ، ثم تابع :

ـ وطوال الوقت ، كان اتحاد الكواكب يرصد ما يحدث على (روبوتاز) ، ويتابع تطورات موقفه فى قلق شديد ، واجتمع قادته أكثر من مرة ، لدراسة ما ينبغى فعله ؛ لإيقاف ذلك الخطر الآلى الرهيب .. ولكن اجتماعاتهم طالت أكثر مما ينبغى ، وتردُّدهم أضاع الكثير من الوقت ، فى حين لم يكنْ طغاة (روبوتاز) الآليون يترددون لحظة واحدة ؛ لأن عقولهم تفكِّر بسرعة أكبر ، وليست لديهم ذرة واحدة من المشاعر أو الأحاسيس .

وصمت لحظة ، ثم قال فى قوة :

ـ لذا ، فقد كانوا المبادرين بالهجوم .

سرت قشعريرة باردة كالثلج ، فى جسد (نور) كله ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، إلا أنه لم يعلّق بحرف واحد ، أو يفتح حتى عينيه ، تاركًا (أكرم) يواصل القصة ، قائلاً :

ـ هجومهم كان كاسحًا ومباغتًا ، وقد وجهوه إلى ثلاثة كواكب ترأس الاتحاد ، فى آن واحد .. (أوراك) و(سيريان) و(تاينور) .. ولقد سقط (أوراك) أولًا ؛ بسبب خيانة فى صفوف جيشه ، وصمد (سيريان) لبعض الوقت ، ثم لحق بـ (أوراك) ، وتركز الهجوم كله على (تاينور) ، أقوى كواكب الاتحاد ، وأكثرها ثراءً ، واحتواءً للخامات ، التى يحتاج إليها طغاة (روبوتاز) ، لتصنيع المزيد من الآلات المفكرة ، والأسلحة المدمّرة الرهيبة .

وتنهّد فى عمق ، وكأنما أرهقته الرواية ، واستند بذقنه إلى مدفعه فى صمت بضع لحظات ، قبل أن يتابع :

ـ ولأن جيش (تاينور) الرسمى كان قويًا ومستعدًا لمواجهة أى هجوم خارجى ، فقد طالت حربه مع (روبوتاز) ، وتصاعد عنفها وشراستها ، حتى استخدم الطغاة الآليون أسلحة دمار رهيبة ، أطاحت بنصف قوات الجيش ، مما أثار اضطراب الآخرين ، فتفرّقوا وتشتّتوا ، وانهارت مقاومة (تاينور) ، ليسقط فى قبضة غزاة (روبوتاز) .

تنهّد (نور) ، عند هذه النقطة ، وقال فى أسف :

ـ تاريخنا العربى يذكّرنى بحالات مماثلة قديمة .

وافقه (أكرم) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ الكثرة تغلب الشجاعة يا (نور) ، وفى الحروب التصادمية المباشرة ، يربح دومًا الأكثر عددًا ، وعدةً ، وعتادًا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن هذا لا يحسم الأمر أبدًا .

وتألّقت عيناه فى عزم ، مضيفًا :

ـ فالمقاومة دائمًا تستمر .

غمغم (نور) :

ـ هذا صحيح .

واعتدل فى مقعده ، مضيفًا فى حزم :

ـ على الرغم من أن بعض ضعاف النفوس ، من (أوراك) و(سيريان) قد انضموا للطغاة الآليين ، وراحوا يقاتلون تحت لوائهم ، ويسعون للسيطرة على أقرانهم ، وكأنما لم يعد يعنيهم سوى السطوة والتفوق فى الدنيا فحسب .

تنهّد (أكرم) ، مغمغمًا :

ـ يظهر أمثالهم دومًا ، فى كل خطب كهذا .

ثم رفع سبَّابته ، واستطرد فى حزم :

ـ ولكننى أكرِّر .. المقاومة دائمًا تستمر .

وغمز بعينه فى جذل عابث ، مع إضافته :

ـ ولهذا نحن هنا يا (نور) .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يسأله :

ـ هذا ما أردت أن أسألك إياه منذ البداية يا (أكرم) .. لماذا نحن هنا ؟!

عاد (أكرم) يحدِّق فى وجهه بمنتهى الدهشة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ لقد أخبرتك يا (نور) .. نحن هنا لنقاتل ، فى سبيل ما نؤمن به ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم متوتر :

ـ وكيف ؟!

حدَّق (أكرم) فى وجهه ، بعينين تحملان ألف تساؤل وتساؤل ، فتابع فى حزم وتوتر أكثر :

ـ كيف وصلنا إلى هنا يا (أكرم) ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) هذه المرة ، وهو يحدِّق فيه بتوتر أكثر ، قبل أن يكرِّر فى حيرة شديدة :

ـ كيف وصلنا إلى هنا ؟!

مال (نور) نحوه مرة أخرى ، مكررًا :

ـ نعم .. كيف وصلنا إلى هنا ؟! كيف خرجنا من عالمنا ، وأتينا إلى هذا العالم ؛ لنقاتل مع فرق مقاومته ، ونقودها على هذا النحو ، ضد طغاة (روبوتاز) ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، فى حيرة أكثر ، وزاغت عيناه المحدقتان فى وجه (نور) ، الذى تابع فى إصرار :

ـ إنك تتذكر وتعرف كل ما أذكره وأعرفه .. بل إن بعض الأجزاء ، التى لمَ نحياها بنفسينا ، مزروعة فى عقلينا ، على نحو أو آخر ، ولكننا نجهل معًا ، كيف أصبحنا جزءًا من كل هذا ؟! كيف أصبحنا جزءًا من مقاومة (تاينور) .

وازداد ميله نحوه أكثر وأكثر ، وهو يضيف :

ـ بل ، وماذا فعلنا قبل يومنا هذا ؟! هل تذكر شيئًا عن عمليات سابقة لنا ، ضد طغاة (روبوتاز) وأتباعهم ، لصالح المقاومة هنا ، فى (تاينور) ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، فى شىء من الارتياع ، وهو يحاول أن يعتصر عقله ، بكل الوسائل الممكنة ، لتذكر أى شىء ، يجيب أسئلة (نور) ..

ولكنه لم يستطع ..

لم يتذكر قط كيف بدأ كل هذا !!

ولا متى بدأ !!

بل إنه لم يذكر حتى من أشعل ذلك القتال الأخير !

من تسبب فى الانفجار !

أو حاجز اللهب !

كل ما تبدأ به ذاكرته هو السيارة ، التى يستقلها مع (نور) ، وهى تتجاوز الانفجار ، وتثب عبر حاجز اللهب ، والآليات الثلاث تطاردها فى شراسة ..

« عجبًا ! »

هتف (أكرم) بالكلمة ، بكل دهشة الدنيا ، قبل أن يهز رأسه ، قائلاً فى توتر :

ـ أنت على حق يا (نور) .. لست أذكر شيئًا من كل هذا ، وكأنما بدأت ذاكرتى عند نقطة بعينها فحسب .

قال (نور) فى سرعة :

ـ المطاردة وحاجز اللهب .

هتف (أكرم) :

ـ بالضبط .

ثم استعاد توتره الشديد ، وهو يواصل :

ـ ولكننى كنت أعرف لحظتها كل شىء ، وكأننى هنا منذ الأزل .. أعرف أننا نقود حرب المقاومة فى (تاينور) ، ضد طغاة (روبوتاز) الآليين .. بل وأعرف تضاريس الكوكب ، وقادته ، ومقاتليه .. أعرف سماءه الحمراء بلون الدم ، وشمسه المزدوجة ، وصخوره السوداء ، وجبال البلور المشبعة بالطاقة ، والمتناثرة فى كل مكان فيه .. أعرفه وكأنما ولدت هنا منذ الأزل .

وزاغت عيناه مرة أخرى ، وحملتا هلعًا واضحًا ، وهو يمسك كتفى (نور) هاتفًا :

ـ كيف يا (نور) ؟! كيف يتفق هذا وذاك ؟! كيف يا (نور) ؟! كيف ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ هذا ما أعتصر عقلى ، فى محاولة لفهمه يا (أكرم) .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يحدق فى وجه (أكرم) ، مستطردًا :

ـ وعلى الرغم من غرابة الموقف ، تراودنى فكرة مجنونة ، قد تبدو ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يحدِّق فى وجه (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم اتسعت عيناه بغتة ، علي نحو انزعج معه (أكرم) بشدة ، فتراجع بحركة حادة ، متسائلا :

- ماذا هناك يا (نور) ؟!

بدا (نور) مرتبكًا حائرًا ، وهو يقول :

- عجبًا ! أنت تبدو لى كما لو أن .. لو أنك ..

كانت عيناه تحملان ما يشبه الهلع ، وهو يحدِّق فى وجه (أكرم) ، ويبتر عبارته فى توتر بالغ ، جعل هذا الأخير يتحسَّس وجهه فى ذعر ، هاتفا :

- ماذا هناك يا (نور) ؟! ماذا أصابنى ، حتى تحدِّق فى وجهى على هذا النحو ؟!

ظلَّ (نور) يحدِّق فيه بضع لحظات أخرى فى صمت ، ثم أشار بيده ، قائلاً فى توتر شديد :

- كيف ترانى يا (أكرم) ؟!

بدا السؤال عجيبًا للغاية ، حتى أن (أكرم) حدَّق فى وجهه بدهشة عارمة ، مكررًا فى عصبية :

- كيف أراك ؟! ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أمسك (نور) كتفيه على نحو مباغت ، وبقوة أدهشته وأفزعته ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً فى صرامة آمرة :

- انظر إلىَّ جيدًا ، وأخبرنى كيف ترانى .

اضطرب (أكرم) بشدة ، وهو يقول :

- أراك كما اعتدت أن أراك يا (نور) .

هزَّه (نور) فى قوة ، هاتفًا :

- انظر جيدًا .

تضاعف اضطراب (أكرم) وتوتره كثيرًا ، وهو يقول :

- إننى أنظر جيدًا يا (نور) .

صاح فيه (نور) ، فى صرامة أكثر :

- لا تنظر بعينيك .. انظر بعقلك .. انظر إلى ملامحى جيدًا ، وأخبرنى كيف ترانى .

كان توتر (أكرم) قد بلغ ذروته ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) ..

ويحدِّق ..

ويحدِّق ..

وبكل ما يمتلك من قوة وإرادة ، حاول أن ينفذ ما أمره به (نور) ..

ألا ينظر إليه بعينيه ..

بل بعقله ..

بأعمق أعماق عقله ..

ولم يكن يتصوَّر أبدًا أن هذا يمكن أن يصنع فارقًا ..

فـ(نور) سيبدو دومًا كما عرفه ..

وهذا أمر حتمى ، و ...

ولكن فجأة ، بدأت الصورة تختلف ..

وكذلك ملامح (نور) ..

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ..

اتسعتا ، حتى بلغتا ذروة الاتساع ..

فهو لم يتوقع ، فى أية لحظة من حياته ، أن يرى ما رآه أمامه فى تلك اللحظة العجيبة ..

بل ولم يتخيله لحظة واحدة ..

على الإطلاق ..

* * *

7ـ قبل الفنـاء ..

سارت حالة من التوتر الجم فى مقر رياسة الجمهورية ، مع تنفيذ خطة الطوارئ القصوى ؛ لنقل الرئيس ، والوزراء ، وقادة الجيش والأركان ، ورؤساء الأجهزة الأمنية الرئيسية ، إلى مكان سرى آمن خارج العاصمة ، تحسبًا لأية تطورات منتظرة ، بعد أن يكمل الآلى العملاق شحن طاقته القصوى ، ويعمل على تطوير الهجوم ، على نحو أكثر قوة وعنفًا ..

وضمن هذا التوتر الشديد ، راح مسئول أمن الرياسة يتحرك فى كل مكان ، وهو يلقى أوامره هنا وهناك ، وفقًا للخطة المحفوظة عن ظهر قلب ، ويطمئن إلى أن حوَّامة الرئيس مستعدة للتحقيق ، وخلفها الحوَّامة التى تضم أعضاء مجلس الوزراء ، فيما عدا وزير الدفاع ، الذى أصرَّ على البقاء ، مع وزير الداخلية ، لحماية العاصمة ، حتى اللحظة الأخيرة ..

وعبر جهاز اتصال خاص ، هتف مسئول أمن الرياسة ، بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية :

ـ بقاؤك ليس له ما يبرِّره أيها القائد .. إنك لن تضيف شيئًا بوجودك هنا ، إذا ما استطاع ذلك الآلى أن يسحق العاصمة ، بكل ما عليها ومن عليها .. لقد أعد الرجال المقر الاحتياطى لكم ، ولفرق مركز الأبحاث العلمية ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لو لم تنجح فى إيقاف ذلك الآلى هنا ، لن تكون هناك أية أهمية ، للانتقال إلى أى مكان آخر فى (مصر) .. أو ربما فى العالم كله .

بُهِتَ مسئول الأمن لقوله ، فغمغم باضطراب :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أجابه القائد الأعلى بنفس الصارمة :

ـ ألم ينقلوا إليك الصورة كاملة ؟!

ازدرد مسئول الأمن لعابه فى صعوبة ، وهو يتمتم :

ـ ليس على هذا النحو .

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم قال فى لهجة آمرة :

ـ قم بواجبك فحسب إذن ، وفقًا للخطة الموضوعة .. المهم ألا تضيع لحظة واحدة .

غمغم مسئول الأمن ، فى خفوت ، صنعه توتره الشديد :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

وأنهى الاتصال ، وقد تحوّل وجهه إلى شحوب شديد ، وهو يردّد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

ثم انتفض جسده كله ، وكأنما يخرج من اضطرابه ، أو يجبر نفسه على هذا ، وهو يقول :

ـ الرئيس .. لابد من إنقاذ الرئيس .

واندفع ليكمل عمله ، ويواصل خطة نقل الحكومة ، فى نفس الوقت الذى نهض فيه القائد الأعلى من خلف مكتبه ، قائلا :

ـ يبدو أنه لن يبقى سوانا ، نحن ووزيرى الداخلية والدفاع ، بحكم مسئوليتهما عن الدفاع عن العاصمة .

قال الدكتور (جلال) ، وهو يبذل جهده ، للسيطرة على توتره :

ـ كلنا سنؤدى واجبنا ، حتى آخر قطرة دم يا سيِّدى .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ فى أجسادنا ، أم فى أجساد المواطنين الأبرياء ؟

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟!

تطلَّع القائد الأعلى إلى شاشات الرصد ، التى بدت وكأنها تنقل صورة للشمس نفسها ، من شدة وهج الآلى العملاق ، ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يجيب فى حزم :

ـ أعنى أنه ربما كان من حقنا أن نجازف بحياتنا ، من أجل الوطن ، ولكننا لا نملك أدنى حق ، فى المجازفة بقطرة دم لمواطن واحد .

غمغم الدكتور (جلال) ، فى حيرة حذرة :

ـ هذا أمر طبيعى .

أشار القائد الأعلى إلى الشاشات ، قائلاً :

ـ لهذا ينبغى أن نجد وسيلة حاسمة ، لإيقاف ذلك الشىء .. وبأى ثمن .

تضاعفت حيرة الدكتور (جلال) ، وهو يقول ، فى حذر أكثر :

ـ أليس هذا ما نسعى كلنا إليه ؟!

صمت القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ ربما ليس بالقدر الكافى .

تطلَّع إليه الدكتور (جلال) ، فى حيرة مضاعفة ، محاولاً فهم ما يرمى إليه ، أو ما يدور فى أعماقه ، ولكن القائد الأعلى ظلَّ على صمته بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ أرسل استدعاءً عاجلاً لفريق (نور) .

هتف الدكتور (جلال) ، فى دهشة مستنكرة :

ـ فريق (نور) ؟! ولكن ..

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ أعلم أنهم يبذلون قصارى جهدهم الآن ، فى محاولة لاستعادة (نور) و(أكرم) ، اللذين اختفيا مع سيارة (نور) ، أمام منزل هذا الأخير ، ولكن شيئًا ما فى أعماقى ، يدفعنى دفعًا نحو فكرة مخيفة ، تقول : إن كل هذا مقصود .

ردَّد الدكتور (جلال) ، وحذره يتصاعد أكثر وأكثر :

ـ مقصود ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه ، قائلاً :

ـ نعم .. مقصود لإلهاء الفريق ، وتشتيت طاقاته ، ودفعه إلى قضية فرعية ، تلتهم إمكانياته وانفعالاته كلها ، وتمنعه من المشاركة فى التصدِّى لهذا الغزو .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، وكأنما يعجز عن استيعاب الأمر ، وقال فى عصبية شديدة :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا هذا الأسلوب الصعب المعقَّد ؟! إننا نتحدَّث عن شخص آلى عملاق ، قادر على سحق الجيوش ، بأسلحة لا قبل لنا بها ، وبجسم مصنوع من سبيكة تصمد أمام أقوى أسلحتنا ، فما الذى يمنعه من بدء هجومه على (نور) وفريقه ، وسحقهم سحقًا ، فى بداية مهمته .

تطلَّع إليه القائد الأعلى مباشرة ، وهو يقول :

- إنـه عملاق آلى مجهول المنشأ ، وكل جهود علمائنا لم تتوصل إلى حقيقة ، أو موضع صانعيه ، وهذا هو اللغز ، الذى ينبغى أن نبذل قصارى جهدنا لحله يا دكتور (جلال) .

وشرد بصره ، مع تفكيره العميق ، وهو يستطرد فى حزم :

- لماذا اختفى (نور) و(أكرم) فقط ؟! ولماذا تم تحييد باقى الفريق ، بدلاً من توجيه ضربة مباشرة حازمة وساحقة له ؟!

والتقط نفسًا عميقًا ، امتلأ به صدره كله ، قبل أن يواصل :

- فلنبحث عن أجوبة لهذه الأسئلة يا دكتور (جلال) ، ومن يدرى عندئذ .. ربما أمكننا أن نجد فيها الحل لهذه الكارثة الآلية المدمِّرة ؟!

وصمت لحظة ، ثم كرَّر فى صرامة ، وهو ما زال يفكِّر فى عمق .

- ربما .

ظلَّ الدكتور (جلال) يحدِّق فيه ، وقد امتزجت حيرته بحذره ، وصنعا معًا تيارًا متفجرًا فى مخه ، فاستدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى صرامة آمرة :

- استدع فريق (نور) يا دكتور (جلال) ، وأخبرهم أن (مصر) فى حاجة إليهم .. (مصر) كلها .

وانتفض جسد الدكتور (جلال) ؛ فقد نطق القائد الأعلى الكلمة ، التى يتوقَّف عندها كل قول آخر ..

الكلمة السحرية ..

(مصر) ..

* * *

« إنهما فى منطقة ما ، بين الأبعاد .. »

نطقت (سلوى) الكلمات بحروف مرتجفة ، وهى تحدِّق مع (نشوى) و(رمزى) ، فى شاشة الجهاز ، الذى حمل مجموعة من المصطلحات العلمية المعقدة ، فغمغمت (نشوى) فى ارتياع :

- يا إلهى ! كيف حدث هذا ؟!

ثم رفعت عينيها المذعورتين إلى أمها ، مستطردة :

- وكيف يمكننا استعادتهما ، من ذلك البرزخ العجيب ؟!

هزَّت (سلوى) رأسها ، فى بطء يائس ، وهى تقول ، بصوت أقرب إلى الهمس :

- لست أدرى .

حدَّق (رمزى) فى الشاشة ، بضع لحظات أخرى ، ثم لوَّح بكفيه ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ هل يمكنكما تفسير الأمر أكثر .. إننى مرتبك ومتوتر ، حتى أننى عاجز عن استيعاب الموقف تمامًا .

تركت (سلوى) دموعها تنساب على وجنتيها فى صمت ، فى حين أجابته (نشوى) ، وهى تقاوم دموعها فى صعوبة :

ـ أنت تعرف بالطبع أن بعض النظريات العلمية ، تشير إلى أنه توجد عدة عوالم متوازية أو موازية لنا ، تحتل كلها نفس الفراغ الكونى ، الذى يحتله عالمنا ، ولكن كل منها يسبح فى بعد مختلف ، بحيث تتشارك كلها فى بعض النقاط ، ولكن كل منها مستقل تمامًا عن الآخر ، فى طبيعته وخواصه .. ومخلوقاته أيضًا(*) .

أومأ برأسه ، مغمغمًا فى توتر :

ـ أعرف هذا بالتأكيد ، وأعرف أنها النظرية نفسها ، التى حاول البعض أن يفسّر بوساطتها وجود عالم الجن ، باعتباره عالمًا موازيًا لنا ، يحيا فى بعد آخر ، وباعتبار أنهم يتميزون عنا ، بقدرتهم على الانتقال بين البعدين .. أو بفهم ومعرفة قوانين هذا الانتقال على الأقل .

هزّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

ـ لم أقرأ الكثير عن عالم الجن ، ولا يمكننى مناقشة النظريات غير العلمية ، المتعلّقة بهم ، ولكن الفكرة نفسها مقبولة علميًا ، من حيث وجود مخلوقات غيرنا ، فى بعد مواز ، لديها القدرة والمعرفة

(*) نظرية حقيقية .

اللازمان ؛ للانتقال بين العالمين ، أما ما حدث الآن ، وما سجلته أجهزتنا شديدة الحداثة والتطوّر ، هو أن سيارة أبى ، قد انتقلت بوسيلة ما ، إلى منطقة بين بعدين ، بحيث لم يعد لها وجود مادى فى بعدنا ، ولا فى ذلك البعد الآخر ، وإنما تعلّقت ذراتها ، مع خلايا أبى و(أكرم) ، بين البعدين ، فى حالة غير مستقرة .

والتقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على انفعالها ، قبل أن تواصل فى عصبية :

ـ حالة لا يمكن أن تستمر طويلاً .

امتقع وجهه ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين بأنها لا يمكن أن تستمر طويلاً ؟!

أجابته فى خفوت ، وصوتها يبدو أشبه بالنحيب :

ـ معظم النظريات الافتراضية ، الخاصة بالانتقال بين الأبعاد المختلفة ، تشير إلى أن عملية الانتقال تحتاج إلى طاقة كبيرة ، لتغيير خواص المواد والعناصر ، والخلايا الحية ، حتى يمكنها التكيُّف مع البعد الموازى الآخر ، وأن هذا لا يمكن حدوثه بصفة دائمة ، وإنما لبعض الوقت فحسب ، قبل أن تفقد الذرات تماسكها ، وتنهار الجدران الخلوية ، وتفنى الأجسام المنقولة ، إلى البعد الآخر .

سألها فى حذر مذعور :

- وما المقصود بعبارة : (بعض الوقت) هذه ؟! ساعات ، أم دقائق ، أم .. ثوان ؟!

ارتجف صدرها ، مع تنهيدتها العميقة ، وهى تجيب :

- هذا يتوقَّف على فارق التردُّد بين البعيد ، وسعة الهوة بينهما .

اتسعت عيناه ، وهو يتمتم :

- يا إلهى ! (نور) .. (أكرم) !

أشارت بسبَّابتها المرتجفة ، وهى تقول فى توتر شديد :

- هذا فى حالات الانتقال المثالية ، بين بعدين مختلفين .

ثم انتقلت الارتجافة إلى صوتها ، وهى تضيف :

- وليس فى هذه الحالة .

انخفض صوت (رمزى) بشدة ، وهو يسأل :

- وما الفارق هنا ؟!

أجابته (سلوى) هذه المرة ، وصوتها يحمل قدرًا هائلاً من المرارة :

- التجاذب المزدوج .

لم يكن قد سمع هذا المصطلح ، فى حياته كلها ؛ لذا فقد ردَّده فى دهشة وتوتر بالغين :

- تجاذب مزدوج ؟!

أومأت برأسها ، فى أسى بلا حدود ، وهى تجيب :

- نعم يا (رمزى) .. وجودهما بين البعدين ، يعرِّضهما للتجاذب من الناحيتين ، فالذرات والخلايا لم تعد تتوافق مع بعدنا ، ولم تتكيَّف مع البعد الآخر ، وكلاهما يحاول لفظها فى اتجاه الآخر .

تساءل مذعورًا :

- وما الذى يمكن أن يسفر عنه هذا ؟!

تبادلت (سلوى) و(نشوى) نظرة ملؤها الفزع والارتياع ، قبل أن تقول الثانية ، وصوتها يبلغ ذروة ارتجافه :

- لا يمكننى مجرَّد التفكير فى الأمر .

ثم تفجَّرت الدموع من عينيها كالسيل ، وهى تضيف :

- لست أجرؤ حتى على التفكير فيه .

وعندئذ ، انهارت (سلوى) تمامًا ، وأجهشت بالبكاء ، وهى تردِّد :

- لقد فقدناهما .. فقدناهما إلى الأبد .

ألقت (نشوى) نفسها بين ذراعى أمها ، وهى تهتف باكية :

ـ لا يا أمى .. لا تقولى هذا .. لا تقوليه أبدًا .

نقل (رمزى) بصره بينهما ، وهو يقاوم دموعه بدوره ، قبل أن يقول فى صرامة شديدة :

ـ كفى .

استدارتا إليه بحركة حادة ، فتابع بنفس الصرامة :

ـ لو أن (نور) و(أكرم) بيننا الآن ، لما سمحا بانهيار الموقف على هذا النحو أبدًا ؛ فكل لحظة تضيع فى البكاء والدموع ، قد تعنى فقدانهما إلى الأبد .

مسحت (سلوى) دموعها ، وهى تبعد ابنتها عن صدرها ، قائلة فى توتر مرير :

ـ وما الذى يمكن أن نفعله ؟!

أجابها بكل الحزم :

ـ القتال حتى آخر رمق .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف ، بمزيج قوى من الحزم والصرامة :

ـ فلا تراجع ولا استسلام .. أبدًا .

حدّقت الاثنتان فى وجهه لحظة ، ثم عادتا تمسحان دموعهما ،

وتلتفتان فى صمت إلى أجهزتهما ، وأصابعهما تعاود العمل ، بحثًا عن أمل ..

أى أمل ..

* * *

على الرغم من أن السلطات الرسمية لم تصدر أية أوامر ، بخصوص ضرورة مغادرة العاصمة ، إلا أن مرأى ذلك العملاق المتألّق ، الذى يزداد توهجه فى كل لحظة ، كان كافيًا لأن يقوم المدنيون بعملية إخلاء واسعة ..

وغير منظّمة ..

الشوارع ازدحمت بالسيارات ، المكتظّة بالأفراد وحقائبهم ، والمتجهة كلها إلى الطرق والكبارى الرئيسية ، التى تقود إلى خارج العاصمة ..

كل المتاجر والمحال أغلقت أبوابها ..

كل المراكز التجارية توقفت عن العمل ..

والمصانع ..

والشركات ..

والمكاتب ..

وخلال ساعة واحدة ، وبجهد رهيب من رجال الشرطة والمرور ، ومن تبقّى من المسئولين ، بدا نصف العاصمة ، المتاخم للأطلال القديمة ، أشبه بمدينة مهجورة ..

فيما عدا مبنى واحدًا ..

مبنى جريدة (أنباء الفيديو) ..

كانت الطاقة قد انقطعت عنه ، كما حدث مع باقى المنطقة ، إلا أن (مشيرة) أصدرت أوامرها باستخدام المولدات القديمة الاحتياطية ، التى تعمل بالوقود السائل ، لبث الطاقة فى المبنى ، ومواصلة العمل ..

وحتى آخر نفس ، كما نصت الأوامر ..

وفى نشاط مدهش ، راحت تتحرك فى كل مكان ، وتلقى أوامرها هنا وهناك ، وكأنما لم تعد تشعر بالخطر الداهم ، الذى يهدّد المنطقة كلها ، أو تذكر زوجها (أكرم) ، الذى اختفى على نحو غامض ، أمام عينيها مباشرة ..

لقد بدت وكأن الجزء العائلى والإنسانى منها قد توارى تمامًا ، خلف الشخصية الصحفية الإدارية القيادية ، التى كانتها دائمًا ..

وبلهجتها الحازمة الصارمة ، هتفت بأحد أفراد الطاقم القليل ، الذى قرّر البقاء معها ؛ لمواصلة العمل حتى النهاية :

ـ لا تفلت لحظة واحدة .. أريد تسجيل كل ثانية .. أريدها وثيقة تاريخية .. هل تفهم ؟! تاريخية ..

أجابها الرجل بإيماءة من رأسه ، قبل أن يجيب فى توتر ، على الرغم من أنه يؤدى عمله بكفاءة :

ـ لن تكون سوى كذلك .. فوفقًا لما سجله المراسلون منذ البداية ، سينسفنا ذلك الشىء نسفًا ، ما بين لحظة وأخرى .

قالت فى صرامة :

ـ شهادتنا المسجّلة ستبقى للتاريخ .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت ، فى شىء من الخشونة :

ـ ثم إنه واجبنا .

قال رجل آخر ، وهو يعمل بأقصى سرعته ، لضبط آلات الرصد :

ـ ومن سيشاهد ما نسجّله ؟!

هتفت :

ـ سنبثه على الهواء مباشرة .

قال ثالث فى عصبية :

ـ وكيف ؟! الطاقة التى تصنعها هذه المولّدات اليدوية ، تكفى بالكاد لالتقاط ما يحدث ، ولكنها لن تكفى أبدًا لبثه عبر الأقمار الصناعية .

تساءلت فى توتر :

ـ وماذا عن الكبول الأرضية ؟!

صاح الأوّل :

ـ ومن سيستقبلها ؟! العاصمة أخليت كلها ، بعد انقطاع الطاقة عنها .

انعقد حاجباها فى توتر شديد ، وهى تبحث فى ذهنها عن حل للمشكلة ، قبل أن تلوّح بيدها ، قائلة فى عصبية :

ـ دعونا نؤدّ عملنا أوّلاً ، وسندرس كيفية الاستفادة منه فيما بعد .

قال الثانى ، فى سخرية عصبية :

ـ أى بعد هذا ؟! لقد صار ذلك الشيء أشبه بشمس صغيرة ، حتّى إن آلاتنا تلتقط صورة وهج فحسب ، وأراهن أنه ، عندما يبدأ عمله ، سيحيلنا جميعًا إلى كومة من الرماد .. ولن يستثنى أسطوانة البث بالتأكيد .

حدّقت (مشيرة) فى وجهه بضع لحظات ، وكأنها تراه أوّل مرة ، قبل أن تغمغم فى توتر :

ـ آلاتنا تلتقط صورة وهج فحسب ؟!

تبادل الرجال نظرة عصبية ، قبل أن يغمغم أحدهم :

ـ أهذا كل ما يقلقك ؟!

لم يبد حتى أنها قد سمعته ، وهى تتجه إلى مدير التصوير ، قائلة فى صرامة غاضبة :

ـ ولماذا تكتفى بتصوير وهج فحسب .. الآلات التى نملكها رقمية ، وعالية الكفاءة ، إلى أقصى حد ، ويمكنها بسهولة تجاوز هذه العقبة .

أجابها مدير التصوير بسرعة :

ـ بالتأكيد ، ولكنها عندئذ لن تكون وثيقة تاريخية يا سيّدة (مشيرة) ، فالمفترض فى الوثيقة التاريخية أن ..

قاطعته فى حدة :

ـ والحقيقة .. ماذا عن الحقيقة ؟!

وبدت غاضبة ثائرة ، وهى تلوّح بذراعيها ، متابعة :

ـ الوثيقة التاريخية تختلف كثيرًا ، عندما تراها بعيون صحفية ؛ فمهمتنا هى أن تتجاوز حاجز الرؤية المباشرة ، لتنفذ إلى الأعماق .. أن تلتقط الحقيقة ، من خلف الأسوار ، وتحت الرماد ، وأعماق المحيطات أيضًا ، إذا استلزم الأمر .

غمغم مدير التصوير ، وهو يعدّل الأجهزة ؛ للتحكُّم فى شدة الاستضاءة :

ـ فليكن .. الأمر لم يكن بحاجة إلى محاضرة كهذه .

كظمت غيظها ، وهى تتجه نحوه ، وتتابع شاشات الرصد ، بعد تقليل شدة الاستضاءة ..

ورويدًا رويدًا ، ومع خفوت الإضاءة ، بدأت تفاصيل ذلك الآلى العملاق تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

كان يقف جامدًا كما هو ، وعيناه الآليتان الكبيرتان تلتمعان بوهج أحمر مخيف ، و ...

« ما هذا بالضبط ؟! »

هتفت (مشيرة) بالسؤال ، وهى تشير إلى شىء ما ، بدا باهتًا ، خلف ذلك الآلى العملاق ، فتطلَّع مدير التصوير إلى حيث تشير ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى !! إنه لا يبدو مألوفًا ، وربما ..

تردَّد بضع لحظات ، قبل أن يتابع فى حذر :

ـ ربما هو انعكاس ضوئى أو ...

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة فى حسم :

ـ كلا .. إنه ليس كذلك .

ثم مالت بوجهها نحو الشاشة أكثر وأكثر ، وهى تتابع :

ـ إنه شىء ما ، كان الوهج الشديد للآلى يخفيه عن الأنظار .. شىء يـ ... يتكوَّن .

ردَّد مدير التصوير فى دهشة :

ـ يتكوَّن ؟!

اعتدلت ، قائلة بلهجة آمرة صارمة :

ـ قم بتقليل شدة الاستضاءة أكثر ..

نفذ الرجل أوامرها على الفور ، وراحت صورة ذلك الشىء تتضح أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واتسعت عيون الجميع فى رعب هائل ، عندما تبيَّنوا ماهيته .. فمن الواضح أن التألُّق الشديد لذلك الآلى العملاق كان مقصودًا ؛ لإخفاء ذلك الشىء الرهيب خلفه ، والذى يحمل للأرض نذر الفناء .. الفناء التام .

* * *

8ـ الغــزو ..

هبطت حوَّامة الرياسة ، فى سرية بالغة ، فى تلك المنطقة المعزولة ، فى أقصى جنـوب (مصـر) ، وتبعتهـا حوَّامـة مجلس الوزراء ، قبل أن يغادر الرئيس حوَّامته ، وهو يقول فى توتر :

ـ هذا لا يروق لى .. لا يروق لى أبدًا .

لحق به رئيس الوزراء فى سرعة ، وهو يتساءل فى قلق :

ـ ماذا هناك يا سيادة الرئيس ؟!

لوَّح الرئيس بذراعه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا يروق لى أن نترك العاصمة ، فى مثل هذه الظروف القاسية .. كـان مـن الضرورى أن نبقـى هنـاك ؛ لنواجـه الخطـر مـع عامـة الشعب والمواطنين !

هزَّ رئيس الوزراء رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مستحيل يا سيادة الرئيس ! هـذا يخـالف كل قواعد العقـل والمنطق .. والأمن أيضًا ؛ فحتى لو سقطت العاصمة ، لابد وأن تبقى القيادة ، حتى تواصـل المقـاومة والقتال ، والسعى لتحريـر العاصمة ، وقيادة البلاد كلهـا ، نحـو مقـاومة شاملة ، لو اقتضـى الأمر .. لا ينبغى أن نكرِّر أخطاء فترة الاحتلال السابقة أبدًا(*) .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (76) ، من سلسلة (ملف المستقبل) .. (روايات مصرية للجيب) ..

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يتجه نحو المخبأ السرى النووى الاحتياطى ، مغمغمًا فى ضيق :

ـ فليكن .

قالها ، وذهنه يسترجع آخر التقارير ، التى أطلعه عليها وزير الدفاع شخصيًا ، قبل تنفيذ خطة استمرار الحكومة مباشرة ..

فكل هذا قد بدأ منذ بضع ساعات فحسب ، مع هبوط ذلك الآلى الفضائى الرهيب ، فى منطقة أطلال (القاهرة) القديمة ..

فى البداية ، ظلَ ساكنًا هادئًا ، مكتفيًا بامتصاص كل ما حولـه من طاقة ، لشحن بطارياته الرهيبة ، بعد أن حطَّم كل الدفاعات الفضائية بلا هوادة ..

ثم بدأ فجأة مرحلة الهجوم ..

هجوم شامل ، كاسح ، رهيب ، عنيف ، سحق أمامـه كل قوة حاولت التصدِّى له ، أو منع تقدّمه ..

وفى عنـف منقطع النظيـر ، أزاح قـوات الجيش ، والطيـران ، وحتى الدفاعات الفضائية مـن أمامـه ، ممـا دفـع العسكريين إلـى اتخاذ قرار بالغ الخطورة ..

قرار باستخدام أسلحة التدمير الشاملة ..

فـى نفـس الوقـت ، كـان (نـور) و(أكرم) يواجهـان موقفًـا

عجيبًا مخيفًا ، بعد أن اختفيا فجـأة ، أمام منزل (نور) ، وأمـام عيون أفراد الفريق جميعهم ..

فعلى نحو مدهش ، وعبر شعاع ناقل عجيب ، وجدا نفسيهما مع سيارتهما ، داخل جسم فضائى ، يدور حـول كوكب الأرض ، ويحوى شخصًا آليًا ، له ملامح مألوفة ..

مألوفة للغاية ..

ملامح (س ـ 18) ، ذلك المقاتل الأطلنطى الآلى ، الذى اعتبروه أحد أفراد الفريق ، منذ زمن طويل(*) .

ووسط دهشتهما ، للقاء ذلك الآلى ، راح هو يواجههما بمجموعة من المعلومات والألغاز الغامضة المحيِّرة ..

وإلى أقصى حد ..

وفى الوقت الذى قاتل فيه أفراد الفريـق ؛ فى محاولـة لكشف الغموض ، وتحديد مـا أصـاب (نـور) و(أكرم) ، كـان الآلـى العجيب يطلق كل الذكريات الكامنة فى أعمق أعمـاق عقليهمـا ، ويطلقها نحو منطقة بعيدة فى عالم آخر ..

عالم كوكب (تاينور) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (س ـ 18) .. المغامرة رقم (1) ، من سلسلة الإنترنت الخاصة (ملف المستقبل) .

فهناك ، كانا يشاركان ، بكل خبراتهما السابقة عن الاحتلال ، فى مقاومة غزاة كوكب (روبوتاز) ..

ذلك الكوكب الذى سيطرت عليه آلات وحشية رهيبـة ، ثـم انطلقت تسعى لفرض سيطرتها وهيمنتها على مجرتهما ..

بل وعلى الكون كله ..

ولأن تلك الآلات الوحشية قد توصَّلت إلى سبيكة من أصلب المواد التى عرفها الكون ، وهى مـادة (ألتيماتـا) ، فقد أرسلت ذلك الآلى الرهيب ؛ لتحطيم دفاعات الأرض ، والسيطرة عليها ، واعتبارها ركيزة للهيمنة على الكون كله ..

تقريبًا ..

وبينما توصَّل برنـامج (سلوى) و(نشوى) المتطوِّر ، إلى حقيقة مفزعة ، تشير إلى أن (نور) و(أكرم) لم يغادرا موقعهما أمام الفيلا فعليًا ، وإنما تم احتجازهما بين الأبعاد ، كـان (نـور) يكشف لـ (أكرم) حقيقة مذهلة هناك ..

تحت سماء (تاينور) الحمراء ..

حقيقة أفزعت (أكرم) ..

أفزعته إلى أقصى حد .

أما على الأرض نفسها ، وفى مبنى (أنباء الفيديو) ، آخر منطقة مأهولة ، بعد إخلاء (القاهرة) الجديدة كلها ، فقد كشفت (مشيرة محفوظ) مع فريقها حقيقة مخيفة ..

حقيقة ذلك الشىء الرهيب ، الذى سطع جسد الآلى بشدة ، بعد أن امتصَ كل طاقة أسلحة التدمير الشامل ؛ ليخفيه عن الأعين ..

الشىء الذى راح يتكوَّن ..

ويتكوَّن ..

ويتكوَّن ..

وتكوّنه يعلن بدء الفناء ..

فناء الأرض ..

الشامل(*) .

« أشعلوا كل شاشات الرصد .. »

هتف رئيس الجمهورية بالعبارة فى حزم ، وهو يدلف إلى حجرة القيادة الاحتياطية ، فى ذلك المخبأ النووى ، على عمق ثلاثين مترًا ، فى باطن الأرض ، فأسرع الرجال ينفذون الأمر ، وأضيئت كل شاشات الرصد فى المكان ، فغمغم رئيس الوزراء فى عصبية :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (76) ، من سلسلة (ملف المستقبل) .. (روايات مصرية للجيب) ..

ـ لست أدرى لماذا يسطع ذلك الآلى ، على هذا النحو الرهيب !! يبدو أنه يمهِّد لضربة شاملة ساحقة !

بدا الرئيس شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ وماذا لدينا لمواجهة هذا ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة متوترة ، قبل أن يجيب رئيس الوزراء فى تخاذل واضح :

ـ ليست لدينا وسيلة لهذا للأسف ، يا سيادة الرئيس .

احتقن وجه الرئيس ، وهو يقول فى حدة :

ـ ليست لدينا وسيلة ؟! ماذا نفعل هنا إذن ؟!

أجابه رئيس الوزراء فى سرعة :

ـ نحافظ على القيادة .

صاح الرئيس فى غضب :

ـ القيادة ؟! أية قيادة ؟! ما قيمة القيادة بدون شعب ؟! هل أتينا هنا للحفاظ على أنفسنا ، تاركين شعبنا يواجه الخطر كله ؟! يا للعار !

حاول رئيس الوزراء تهدئته ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس .. إننا نتبع خطة الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت فجأة شهقة قوية ، من حلق أحد رجال الأمن ، وهو يشير إلى واحدة من شاشات الرصد ، هاتفًا :

ـ رباه ! انظر يا سيادة الرئيس ! يا إلهى ! يا إلهى !

وبسرعة متوترة ، استدار الكل إلى شاشة الرصد ، التى يشير إليها ، قبل أن تنطلق من حلوقهم جميعًا ، شهقة رعب قوية ..

فما رأوه على تلك الشاشة كان رهيبًا ومفزعًا .. إلى أقصى حد ..

* * *

« أنت لست (نور) ! »

هتف (أكرم) بالعبارة ، وهو يثب من مقعده ، ويتراجع بحركة حادة ، محدقًا فى ذلك الجالس أمامه ، والذى بدا قويًا متين البنيان ، على الرغم من رأسه الأصلع ، وبشرته الصفراء الداكنة ، وذلك الزى اللامع الذى يرتديه ..

وفى هدوء حازم ، نهض ذلك القوى ، وتطلّع إليه مباشرة ، وهو يقول :

ـ ومتى أدركت هذا ؟!

هتف (أكرم) ، وهو يسحب مسدسه ، ويلوّح بيده الأخرى فى الهواء فى حدة :

ـ إنك لست هو ؟!

تقدّم القوى نحوه ، قائلاً بحزم أكثر :

ـ وكيف كنت ترانى منذ قليل ؟!

بدت الحيرة واضحة ، على وجه (أكرم) وملامحه ، وهو يقول :

ـ كنت .. كنت أراك كما اعتدت دومًا أن .. أن ..

كانت الإجابة محيّرة ، أكثر من التساؤل نفسه ، فدار رأسه ، وانعقد لسانه فى حلقه ، وحاول أن يقول شيئًا .. أى شىء ، وذلك القوى يتقدّم نحوه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، أمسك كتفيه بيديه القويتين ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كنت ترانى كما اعتاد (أكرم) أن يرى (نور) .. أليس كذلك ؟!

تضاعفت حيرة (أكرم) ، وهو يلوّح بمسدسه ، مغمغمًا :

ـ نعم .. لست أدرى كيف حدث هذا ، ولكننى كنت أراك كما اعتدت أن ...

قاطعه القوى فى صرامة :

ـ كما اعتاد (أكرم) أن يرى (نور) .

غمغم (أكرم) ، وحيرته تتصاعد أكثر وأكثر :

ـ نعم .. كما اعتدت أن ..

قاطعه مرة أخرى ، فى صرامة أكثر :

ـ بل كما اعتاد (أكرم) أن يرى (نور) ، وليس كما اعتدت أنت .

ثم جذب كتفيه بحركة قوية ، ودفعه إلى الالتفات نحو جدار بلّورى عاكس ، وهو يضيف بمنتهى الصرامة :

ـ فأنت لست هو .

واتسعت عيناه أكثر وأكثر وأكثر ، وهو يحدّق مذعورًا فى تلك الصورة ، التى انعكست أمامه ، على الجدار البلورى ..

صورة أصلع آخر ، له نفس البشرة الصفراء الداكنة ، ويرتدى نفس الزى اللامع ، و ...

وفجأة ، شعر بقوة هائلة تجذبه إلى الخلف ..

أو بمعنى أدق ، تنتزعه فى ذلك الجسد ..

ثم تلقيه عبر دوّامة من الألوان المتداخلة العجيبة ..

دوّامة دارت بسرعة ..

وقوة ..

وعنف ..

ثم انسحبت بغتة ، وتحوّلت إلى فقاعة ذهبية ، انطلقت مع أخرى ، نحو كفى الآلى مباشرة ..

وعلى نحو عجيب ، لا يمكن تفسيره بأية قوانين أو قواعد علمية أرضية ، ذابت الفقاعتان وتلاشيتا ، فى راحتى الآلى الشبيه بـ (س ـ 18) ، والذى شد قامته ، فى وقفة شبه عسكرية ، قائلاً :

ـ أظنك قد استوعبت الموقف كله ، أيها المقدّم (نور) .

انتفض جسد (نور) ، وكأنما يستيقظ من حلم عميق ، وقال فى عصبية :

ـ ليس كما تتصوّر .

عقد الآلى كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى هدوء :

ـ من صنعونى أكدّوا أنك ستستوعبه بسرعة ، على الرغم من غرابته .. تمامًا مثلما فعلت هناك .

ثم مال برأسه إلى الأمام ، مع وهلة من الصمت ، قبل أن يضيف :

ـ على أرض (تاينور) .

انتفض (أكرم) بدوره ، وهتف بكل حيرة وتوتر الدنيا :

ـ (تاينور) ؟!

نطقها وهو يعانى من اضطراب عجيب فى الذاكرة ، فتارة ينطلق عقله عبر ذكرياته القديمة على الأرض ، وتارة أخرى يذوب فى أحجار (تاينور) السوداء ، وجباله البلورية ، المشحونة بالطاقة ..

أما (نور) ، فقد بدا أكثر تماسكًا ، وهو يواجه ذلك الآلى ، قائلاً :

ـ إننا لم نذهب أبدًا إلى (تاينور) .. أليس كذلك ؟!

أومأ الآلى برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى هدوء :

ـ ليس بجسديكما .

بُهِتَ (أكرم) للجواب ، وتمتم مبهورًا :

ـ كيف إذن ؟!

أجابه (نور) ، فى بطء وصرامة ، دون أن يرفع عينيه عن ذلك الآلى :

ـ الجواب واضح يا صديقى .. لقد ذهبنا بعقلينا فقط .

هتف (أكرم) ، فى توتر أكثر :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

أجابه الآلى ، فى هدوء مستفزٍ :

ـ سيصعب شرح هذا بالتأكيد ، فالتقنية التى استخدمها سادتى ، تفوق علومكم الأرضية بعشرات المرات ، ولكن يكفى أن أقول إنهم قد استخدموا ذاكرتكما ، وكل ما تحويه من خبرات وتجارب سابقة ، لإعادة برمجة عقلى اثنين من أفضل وأقوى مقاتلى (تاينور) ، بحيث صارا يتصوران أنهما أنتما ، وراحا يستخدمان كل خبراتكما لقتال طغاة (روبوتاز) ، حتى الـ ...

بتَر عبارته بغتة ، فهتف (أكرم) فى عصبية :

ـ حتى ماذا ؟!

كان يتوقَّع الجواب من برنامج ذلك الآلى ، الشبيه بـ (س ـ 18) ؛ لذا فقد أدهشه أن يأتيه من بين شفتى (نور) ، الذى قال فى صرامة :

ـ حتى النصر .

انتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهو يهتف :

ـ النصر ؟! ولكن .. ولكن ..

قاطعه الآلى ، وهو يقول بهدوئه العجيب :

ـ هذا صحيح .

نقل (أكرم) بصره ، فى توتر شديد ، بين (نور) وذلك الآلى ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً فى عصبية :

ـ مهلاً .. لم أعد أفهم ما يحدث بالضبط ! الأمر كله صار أشبه ببرامج الألغاز المعقدة .. آلى خارق عملاق يهاجم الأرض بغتة ، دون سابق إنذار ، ويعيث فيها التدمير والخراب ، دون رحمة أو هوادة ، وآلى آخر ينزعنا من أمام منزل (نور) ، ويحدثنا عن صراع خاضه عقلينا ، ويؤكد لنا أنه يرتبط ، على نحو أو آخر بذلك الآخر العملاق ، والذى يحوى برنامج (س ـ 18) .. معذرة .. لو أنه من السهل فهم هذا ، فأنا أعانى من مشكلة عقلية ما .

أومأ الآلى برأسه فى هدوء ، قائلاً :

ـ أنت على حق يا سيِّد (أكرم) .. ليس من السهل أبدًا فهم هذه المشكلة المعقدة .

هتف (أكرم) ، وهو يرفع مسدَّسه ، على نحو يخلو من المنطقية :

ـ بالتأكيد .. وخاصة عندما تشير إلى أن سادتك قد انتصروا على غزاة (روبوتاز) بالفعل ، مما يُفقد الأمر أى معنى منطقى ، أو ...

قاطعه الآلى مرة أخرى فى حزم :

ـ لو شئت الدقة ، فسادتى لم يهزموا غزاة (روبوتاز) بعد ، فى هذه اللحظة .

انتفض جسد (أكرم) مرة جديدة فى عنف ، وخفض فوهة مسدسه فى انكسار عجيب ، وهو يغمغم :

ـ لم أعد أفهم شيئًا ! لم أعد أفهم أى شىء !

وعلى عكسه تمامًا ، بدا (نور) شديد الحزم والصرامة ، وهو يتطلع إلى الفقاعة الأخرى ، التى تنقل مشهد ذلك الآلى العملاق ، الذى يتألَّق أكثر وأكثر فى موقعه ، قائلاً :

ـ أما أنا ، فعلى الرغم من تعقيد الموقف وصعوبته ، أفهم الآن ما يحدث .. أفهمه تمامًا ..

وكانت مفاجأة لـ (أكرم) ..

مفاجأة قوية ..

للغاية !

* * *

9ـ لعبـة زمـن ..

لم تبد (سلوى) ، فى حياتها كلها ، شديدة التوتر والعصبية ، مثلما بدت فى تلك اللحظـة ، وهى تحاول مع ابنتها إيجاد أى مخرج علمى ، لتواجد جسدى (نور) و(أكرم) بين الأبعاد ..

وفى عصبية شديدة ، غمغمت :

ـ وفقًا لحساباتى .. لن يحتمل جسداهما أكثر من سـت عشرة دقيقـة ، ثم تبـدأ مرحلة الانهيار ، التى لـن تستغرق سوى دقيقـة وسبع ثوان فحسب .

تساءل (رمزى) فى توتر :

ـ وبعدها ؟!

امتقع وجـه (سلوى) بشـدة ، ولم تستطع نطق حـرف واحد ، فى حين هزّت (نشوى) رأسها فى قوة ، هاتفة :

ـ لن ننتظر إلى ما بعدها .

أدارت (سلوى) عينيها إليها ، فى تساؤل يائس ، فتابعت فـى حدة :

ـ سنبذل كل ما بوسعنا من جهد .

لم يكن لعبارتهـا أى معنـى واضـح ، فى مثـل هـذه الظروف ،

فخفضت (سلوى) عينيهـا فى مـرارة بائسـة ، وعضّ (رمزى) شفته السفلى فى قهر ، وهو يتطلّع إلى شاشـة الجهاز ، التى تنقل الصورة الشبحية الباهتـة ، لـ (نـور) و(أكرم) ، داخـل سيارة هذا الأخير ، و ...

وفجأة ، ارتفع أزيز ساعة (سلوى) ..

ارتفع على نحو مباغت ، انتفضت معه أجسادهم جميعًـا ، قبل أن ترفع (سلوى) ساعتها إلى فمها ، وتضغط زر الاتصال بها ، قائلة :

ـ (سلوى) يا سيادة القائد الأعلى !

أتاها صوت الدكتور (جلال) ، الذى يقول فى حزم مضطرب :

ـ إنه أنا يا (سلوى) .. القـائد الأعلى كلفنى استدعاءكم على نحو عاجل يا بنيتى ؛ لمواجهة ذلـك الخطر الرهيب ، الذى يهدّد كوكب الأرض كله .

هتفت مستنكرة :

ـ استدعاء عاجل ؟! ولكن هـذا مستحيل يا دكتـور (جـلال) ! لو تخلينا عن (نور) و(أكرم) الآن ، فسيكون الموت مصيرهما لا محالة .

أجابها فى حدة :

ـ ولو تجاهلتم ذلك الخطر الآنى ، سيكون فناؤنا جميعًا محتومًـا ، خلال دقائق محدودة قليلة .

وحمل قوله المزيد من توتره وصرامته ، وهو يضيف :

ـ إنها لحظة الاختيار يا (سلوى) .. اللحظة التى يتمنى المرء ألا تأتى أبدًا .. لحظة الاختيار بين زوجك .. ووطنك .. والاختيار لك يا بنيتى .. لك وحدك .

سمع (رمزى) و(نشوى) عبارته الأخيرة ، قبل أن ينهى الاتصال ، فشاركاها ذلك الشحوب الشديد ، الذى امتد من وجوههم إلى كينونتهم كلها ، وتبادل ثلاثتهم نظرة صامتة مذعورة ، قبل أن تهمس (نشوى) ، كما لو أنها ستهوى فاقدة الوعى :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يفعلوا بنا هذا !

تمتم (رمزى) :

ـ من الواضح أنه ليس أمامهم خيار آخر .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقطه فى سرعة ، وهو يغمغم :

ـ إنها (مشيرة) .

مع ضغطة زر ، رأى صورتها على شاشة جهازه ، وهى تقول فى عصبية :

ـ (رمزى) .. من حسن الحظ أن الاتصالات لم تنقطع بعد .. إننا نواجه خطرًا رهيبًا يا (رمزى) .. رهيب إلى أقصى حد .

جف حلقه ، وهو يسألها :

ـ أى خطر هذا يا (مشيرة) ؟!

أجابته بمنتهى العصبية :

ـ انظر بنفسك .

مع قولها ، اختفت صورتها من شاشة الجهاز ، وظهر بدلاً منها مشهد ذلك الآلى العملاق ، وهو يقف عند أطراف (القاهرة) الجديدة ، ويتألَّق كشمس صغيرة ..

وبوساطة الأجهزة الرقمية الحديثة ، تم تخفيف ذلك التألُّق رويدًا رويدًا ، حتى اتضح ذلك الشىء ، الذى يخفيه التألُّق عن الأعين ..

اتضح فى بطء ..

وهدوء ..

وتواصل ..

و ...

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ..

وانتفض جسده كله ..

بمنتهى العنف ..

فذلك الشيء ، الذى حاول الآلى العملاق أن يخفيه عن الأنظار ، كان كفيلاً بإفناء الأرض بالفعل ..

بل والمجموعة الشمسية كلها ..

بلا استثناء ..

* * *

« رباه ! مستحيل ! »

هتف الدكتور (جلال) بالكلمات فى ذعر ، وهو يحدّق فى آخر نتائج الرصد ، التى نقلها إليه الفريق المتبقى من مركز الأبحاث العلمية ، قبل أن يضعها بدوره أمام عينى القائد الأعلى ، مضيفًا :

ـ إنه يستخدم كل الطاقة ، التى امتصها من أسلحة التدمير الشاملة ، ليصنع فجوة فى عالمنا .

هتف القائد الأعلى ، وهو يستعيد ذكرى قديمة مفزعة :

ـ فجوة إلى العالم الذى أتى منه ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ بل إلى الفضاء .. إلى غياهب الفضاء .

بُهتَ القائد الأعلى للجواب ، وتساءل فى توتر :

ـ ولماذا ؟! هل يحاول إخراج الأرض من مدارها ، ودفعها إلى منطقة أخرى من الفضاء ؟!

مال الدكتور (جلال) نحوه ، قائلاً ، وكل حرف من كلماته يرتجف بشدة على شفتيه الشاحبتين :

ـ الفجوة التى يصنعها ، تطلّ مباشرة على ثقب أسود .

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ ثقب أسود .

نطقها ، وذهنه يسترجع فى رعب طبيعة تلك الثقوب السوداء ، التى تنشأ عن انهيار نجم عملاق ، وانكماش مادته إلى الحد الأقصى ، بحيث تصل كثافته إلى ذروتها ، وتبلغ جاذبيته حدًّا خرافيًا ، يجعله يمتصّ كل ما حوله ، حتى الضوء ، ومن هنا جاءت تسميته بالثقب الأسود(*) .

« لو اتسعت الفجوة أكثر ، ستصبح بداية للفناء التام .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى رعب ، فاتسعت عينا القائد الأعلى أكثر ، وهو يقول :

ـ رباه ! ذلك الثقب سيجذب إليه كل ما على سطح الأرض ، و ...

(*) حقيقة علمية ، وعلى الرغم من وجود عشرات النظريات ، التى تحاول البحث عن مصير الأجسام والطاقة ، التى يمتصها الثقب الأسود ، ويجذبها نحو مركزه ، أى أنها تتفق كلها على أن كل ما يصل إلى مركزه يفنى تمامًا ، بالنسبة لعالمنا على الأقل .

قاطعه الدكتور (جلال) فى عصبية ، وهو يشير إلى جزء آخر ، من تقرير فريق العلماء الأخير :

ـ ليت الأمر يقتصر على هذا ، فوفقًا لتقرير خبرائنا ، الفجوة تطلّ على ثقب أسود عملاق ، فى أطراف الكون ، ومع معدلات اتساعها ، سنصبح داخل مجال جذبه ، خلال سبع دقائق فحسب ، وعندئذ سيبدأ فى جذب كل ما يوجد على سطح كوكبنا ، ليتلاشى فى مركزه .. السيارات ، والقطارات ، والمنازل الصغيرة ، والحيوانات ، والبشر .. كل شىء بلا استثناء .. وكل هذا مجرَّد مرحلة أولى .

تمتم القائد الأعلى :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وتابع الدكتور (جلال) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ بعدها ستتسع الفجوة أكثر ، وسيصبح بإمكان ذلك الثقب الأسود العملاق ابتلاع كوكب الأرض كله .. سيجذبه إليه ، ويخرجه من مداره ، ويذيبه فى مركزه ، أو يقذفه إلى عالم آخر ، أو عالم مضاد ، كما تقول بعض النظريات والافتراضات العلمية .

اتسعت عينا القائد الأعلى أكثر وأكثر ، فى حين واصل الدكتور (جلال) ، فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ وبعد فناء الأرض ، ستكون تلك الفجوة قد اتسعت أكثر وأكثر فى الفضاء ، وستبدأ فى ابتلاع كواكب المجموعة الشمسية ، واحدًا بعد الآخر ، و ...

« كفى .. »

قاطعه القائد الأعلى فى توتر شديد ، وهو ينهض من مقعده ، ويتحرك فى مكتبه فى عصبية ، متابعًا :

ـ لابد من وسيلة لمنع حدوث هذا .. لا يمكن أن نقف ساكنين ، ونترك ذلك الشىء يفنى عالمنا كله .

ثم استدار إليه ، مستطردًا فى حدة :

ـ استشر خبراءك .. استدع فريق (نور) .. ابحث عن مخرج بأية وسيلة ، وأيًّا كان الثمن .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى يأس ، وهو يقول :

ـ لا أحد لديه وسيلة واحدة لمواجهة هذا .. إننا لم نتوصّل أبدًا لتكنولوجيا الفجوات الزمكانية .. كل ما نملكه مجرّد نظريات ، تحتاج إلى أعوام وأعوام لتطويرها .

هتف القائد الأعلى :

ـ ولكننا قاومنا فجوة زمكانية بالفعل من قبل ، وصددنا غزوًا رهيبًا عبرها(*) .

وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ لقد فعلها (س ـ 18) ، ولم نفعلها نحن يا سيِّدى ، ولسنا ندرى حتى كيف فعلها .

عضَّ القائد الأعلى شفته السفلى فى مـرارة ، وهو يعود إلى مكتبه ، متمتمًا فى توتر لا محدود :

ـ (س ـ 18) .. وأين هو (س ـ 18) الآن ؟!

نطقها ، دون أن يدرى أن (س ـ 18) أقرب إليه مما يتصوَّر ..

أقرب بكثير ..

جدًا ..

* * *

« هل تفهم ما يحدث حقًا يا (نور) ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال ، بكل حيرة وتوتر الدنيا ، على مسامع (نور) ، الذى بدا شديد الصرامة والحزم ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (سادة الكون) .. المغامرة رقم (134) ، من سلسلة (ملف المستقبل) .. (روايات مصرية للجيب) ..

ـ ربما بدا الأمر مربكًا ومحيرًا فى البداية يا صديقى ، ولكنك لو اتبعت قاعدة (هولمز) الشهيرة(*) ، وهى أنه إذا ما استبعدنا المستحيلات ، فإن ما يتبقى حتمًا هو الحقيقة ، مهما بدت غرابتها ، فسنجد أن الأمر سيتضح إلى حد كبير .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ باستخدام لعبة الزمن يا صديقى .

هتف (أكرم) بكل دهشته :

ـ لعبة ماذا ؟!

أجاب (نور) بمنتهى الحزم :

ـ لعبـة الزمـن يا صـديقى .. اللعبـة التى ألقـاها فى عقولنـا (ألبرت أينشتين) ، وفجَّرتها التكنولوجيا ، لتعربد فى أيامنا كلها .

شد الآلى قامته مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ نفس العبقرية ، التى توقَّعها سادتى أيها المقدَّم .

(*) شيرلوك هولمز : شخصية ابتكرها الراوى الإنجليزى المبدع (آرثر كونان دويل) ، وقد حازت شهرة واسعة ، حتى إنها تفوقت على شهرة (دويل) نفسه ، وما زالت رواياتها تظهر فى طبعات جديدة ، حتى يومنا هذا .

صاح (أكرم) فى غضب :

ـ عظيم .. هل يمكننى أن أحظى بجزء من العبقرية والمعرفة ، قبل أن يتفجَّر عقلى ، من فرط الحيرة والتوتر ؟!

قال (نور) فى هدوء ، محاولاً تخفيف توتره :

ـ رويدك يا (أكرم) .. رويدك يا صديقى .. لو راجعت ما قاله ذلك الآلى ، منذ وصلنا إلى هنا ، لوجدت أنه قد أشار إلى أن كل ما يحدث يستهدف كسب الوقت .. كل الوقت .. لقد كان يمهد لإخبارنا أنه لم يأت من عالم آخر فحسب ، ولكن من زمن آخر أيضًا .. زمن مستقبلى .

هتف (أكرم) مبهورًا :

ـ حقًا ؟!

تابع (نور) فى حزم :

ـ نعم يا (أكرم) .. لقد جاء من المستقبل .. المستقبل الذى شهد بداية انبحار طغاة (روبوتاز) ، وبداية انتصار مقاومة (تاينور) .

غمغم (أكرم) مبهورًا :

ـ إذن فقد انهزموا فى النهاية .

أجاب الآلى هذه المرة :

ـ ليس بصورة تامة .. لقد كادوا يهزموننا تمامًا ، ويقضون على مقاومة (تاينور) بلا رحمة ، وخاصة بعد أن نجحوا فى القضاء على المقدَّم (نور) .

هتف (أكرم) مذعورًا :

ـ (نور) ؟! هل ..

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ إنه لا يقصدنى أنا ، وإنما ذلك الذى غرسوا ذاكرتى فى عقله .

أشار الآلى بيده ، قائلاً :

ـ بالضبط .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، متابعًا :

ـ وعبر برنامج شديد التطوّر ، وكلمحة أمل أخيرة ، استطاع شبيهك يا سيِّد (أكرم) الاتصال بذلك المنقذ (س ـ 18) ، الذى استجاب للنداء ، وقطع شوطاً طويلاً فى الفضاء ؛ لينقض على غزاة (روبوتاز) فى كوكب (تاينور) ، ويفنيهم عن آخرهم .

تمتم (نور) :

ـ قتال عادل تمامًا .. آلى فى مواجهة آليين .

تابع الآلى ، دون أن تستوقفه عبارة (نور) :

ـ وبعدها ، وبناءً على أوامرك أيضًا ، انطلق لتدمير غزاة (روبوتاز) فى كوكبهم .

تساءل (أكرم) فى لهفة :

ـ وهل فعل ؟!

غمغم نور :

ـ لو أنه أكمل مهمته هناك ، لما كنا نواجه ما نواجهه هنا الآن .

أومأ الآلى برأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يتابع :

ـ الواقع أنه كاد يهزمهم تمامًا بالفعل ، بعد أن دمّر كل دفاعاتهم المتقدّمة على كوكبهم ، لولا أن جازفوا بضربة انتحارية أخيرة ، استخدموا خلالها طاقة هائلة جديدة ، أصابت (س ـ 18) بموجة ترددية ساحقة ، أوقفت أجهزته كلها عن العمل ، حتى برنامج الحفاظ على الطاقة الاحتياطى ، فسقط على كوكبهم ، ووقع فى قبضتهم .

هتف (أكرم) :

ـ ثم صنعوا منه ذلك الشىء البشع .

قال الآلى ، وكأنما يواصل حديثه دون انقطاع :

ـ كان ما تبقى لديهم من موارد وأسلحة ضئيل للغاية ، ولا يكفى لمواصلة خطة الغزو والسيطرة ، أو حتى لإعادة بناء قواتهم الفضائية الآلية ، مما يعنى أن الكواكب الأخرى ستنقض عليهم حتمًا ، وتفنيهم عن آخرهم ؛ لإنهاء خطرهم إلى الأبد ؛ لذا لم يكن هناك من أمل فى النجاة ، سوى فكرة مجنونة ، توصل إليها برنامجهم الآلى المشترك .. فكرة تحتاج إلى كل ما تبقّى لديهم من تقنية ومن طاقة .. فكرة إما أن تعيد إليهم كل ما خسروه ، أو يكون فيها الفناء التام .. لهم .

تساءل (أكرم) ، فى اهتمام متوتر :

ـ وأية فكرة تلك ؟!

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ العودة عبر الزمن ، إلى ما قبل استعانة مقاومة (تاينور) بذاكرتينا ، وإفناء المصدر الرئيسى ، بكل ما حوله .

غمغم (أكرم) ، وقد بدأ يستوعب الموقف كله :

ـ المصدر الرئيسى ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا صديقى .. نحن .

اتسعت عينا (أكرم) ، وامتقع وجهه بشدة ، وهو يكرِّر :

ـ نحن ؟!

شد الآلى قامته أكثر ، وهو يجيب :

ـ نعم يا سيِّد (أكرم) .. أنتما .. ذلك الآلى الرهيب جاء إلى هنا ، للقضاء عليكما .

عاد جسد (أكرم) ينتفض ، وهو يقول فى ارتياع :

ـ هل .. هل تريد أن تقول إن ذلك العذاب ، الذى تواجهه الأرض كلها الآن ، بسببنا .. (نور) وأنا ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً فى توتّر :

ـ ليس هذا فحسب يا صديقى ، ولكننا قد نكون السبب فى فناء كوكبنا كله أيضًا .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، بكل ارتياع الدنيا ، فى حين صمت الآلى بضع لحظات ، ثم قال :

ـ الواقع أن فناء كوكبكم ليس سوى الخطوة الأولى .

سأله (نور) فى سرعة :

ـ وماذا بعدها ؟!

صمت الآلى لحظة أخرى ، قبل أن يجيب فى اقتضاب :

ـ الكثير .

قالها ، وهو يمرِّر يده على جزء آخر من الجدار ..

جزء تموَّج لحظة ، ثم تحوَّل إلى ما يشبه شاشة تلفاز مجسَّمة كبيرة ، تراصت عليها مشاهد متتابعة لحظة (روبوتاز) المستقبلية ..

مشاهد تتحدَّث عن مستقبل رهيب ..

رهيب إلى أقصى حد .

* * *

10ـ الفجـوة ..

ساد الهرج والمرج مبنى (أنباء الفيديو) كلـه ، بعـد أن تكشّفت للمتبقين فيه تلك الحقيقة الرهيبة ، واندفع الكل يحـاول النجاة بحياته ، فيما عدا رئيسة التحرير (مشيرة) ، التى جلست تتابع شاشات الرصد ، فى جمود عجيب ، وكأنما أفقدتها الصدمة كافة مشاعرها ..

وفى توترٍ شديد ، وفزع بلغ مداه ، اندفع مساعدها الأوّل نحوها ، هاتفًا :

ـ سيّدة (مشيرة) .. أسرعى يا سيّدة (مشيرة) .. لابد وأن نغادر المنطقة كلها بأقصى سرعة .

أدارت عينيها إليه فى جمود عجيب ، وهى تتساءل :

ـ إلى أين ؟!

أجابها فى ذعر :

ـ إلى أبعد مكان ممكن .

أشارت بسبّابتها إلى شاشات الرصد ، قائلة بنفس الجمود :

ـ إنه ثقب أسود .. هل تفهم يا رجل ؟! ثقب أسود .. فجوة فضائية كبيرة ، ستجذبنا جميعًا إليها ، كما لو كانت بالوعة

كبيرة ، فى قاع حوض ضخم ممتلئ .. باختصار .. إنه مصير لا فكاك منه أبدًا .

هتف الرجل :

ـ علينا أن نحاول على الأقل .

أجابته بنفس الجمود ، وهى تضغط الأزرار أمامها ، وتعود بعينيها إلى شاشات الرصد :

ـ حاول أنت .

هتف :

ـ وماذا عنك ؟!

أجابت بمنتهى الحزم :

ـ سأبقى .

هتف بكل دهشته واستنكاره :

ـ ولماذا ؟!

تراجعت فى مقعدها بهدوء تام ، وهى تجيب :

ـ لأسجل هذه اللحظة التاريخية .. لحظة فناء الأرض .

ثم عادة ببصرها إليه ، مستطردة فى صرامة :

ـ إنه واجبنا .

لم يكن جوابها يحوى ذرة من المنطق ، إلا أنه لم يحاول مناقشتها أبدًا .. فقط حدَّق فى وجهها لحظة ، ثم هتف :

ـ فليكن .

وانطلق يعدو لمغادرة المكان ، والنجاة بحياته ، تاركًا إياها خلفه ، وهى تواصل عملها فى آلية عجيبة ، وتسجل هذه اللحظات من عمر الأرض ..

اللحظات الأخيرة ..

* * *

« ليس بإمكاننا أن نفعل شيئًا !! »

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى يأس تام ، وهو يراجع التقارير الأخيرة ، قبل أن يترك جسده يهوى على أقرب مقعد إليه ، مكملاً فى انهيار :

ـ الفجوة تزداد اتساعًا ، وبعد ثلاث دقائق فحسب ، ستبدأ فى ابتلاعنا بلا رحمة .

غمغم القائد الأعلى ، وهو يشعر لأوَّل مرة بالعجز التام ، إزاء ما يحدث :

ـ مستحيل !

لم تكن المرة الأولى ، التى تواجه فيها الأرض خطرًا شاملاً فى عهده ، ولكنها كانت أوَّل مرة تبدو فيها النجاة مستحيلة إلى هذا الحد ..

« وأين فريق (نور) ؟!»

تساءل القائد الأعلى فى توتر ، فرفع الدكتور (جلال) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ يحاولون إنقاذ واستعادة (نور) و(أكرم) .

ضرب القائد الأعلى سطح مكتبه فى حدة ، قائلاً :

ـ لقد طلبت استدعاءهم جميعًا فورًا .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ ولقد أبلغتهم هذا ، وحاولت إقناعهم بالحضور ، إلا أن (سلوى) عادت تتصل ؛ لتخبرنى أنه بدون (نور) ، لن يتمكَّن الفريق من فعل أى شىء ، فى هذا الوقت القصير ، وأن سعيهم لإنقاذ واستعادة (نور) و(أكرم) ، هو سبيلهم لإنقاذ الأرض من مصيرها الأسود هذا .. لو أن هناك سبيلاً إلى النجاة !

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وبدا شديد التوتر ، وهو يغمغم :

ـ يحنقنى بالطبع أن يخالفوا أمر استدعاء مباشر ، ولكننى أشعر أنهم على حق .

غمغم الدكتور (جلال) :

ـ أظنهم كذلك .

لوّح القائد الأعلى بذراعيه ، هاتفًا :

ـ ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟!

بدا الدكتور (جلال) يائسًا محبطًا ، وهو يقول :

ـ كل ما نملكه الآن ، هو أن نصدر تحذيرًا عامًّا ، يدعو الناس ، فى كافة أنحاء الأرض ، إلى الاحتماء بالمخابئ النووية فى كل مكان .

اعتدل القائد الأعلى ، متسائلاً :

ـ وبم يمكن أن يفيد هذا ؟!

تنهَّد الدكتور (جلال) فى أسى ، مجيبًا :

ـ فى تأخير النهاية لدقيقة أو دقيقتين على الأكثر .. فعندما تتسع الفجوة ، إلى الحد اللازم ، سيبدأ الثقب الأسود فى جذب كل شىء بقوة ، وسيجذب أولاً كل ما على السطح بطبيعة الحال ، ولو أن الكل يحتمى بالمخابئ النووية ، فربما ..

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يهز رأسه فى قوة ، قائلاً فى عصبية :

ـ وهل تعتقد أننا سنصنع الكثير ، لو منحناهم دقيقتين زائدتين فحسب ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن يرفع إليه عينين منتفختين محمرتين ، مغمغمًا بصوت شديد الشحوب :

ـ من يدرى ؟!

وكم بدا لحظتها على حق ..

نعم .. من يدرى ؟!

من ؟!

* * *

تراجعت (نشوى) فى انفعال ، عن لوحة أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وبدت شديدة التوتر ، وهى تقول :

ـ ربما أمكننا أن نفعل هذا .

هتفت (سلوى) بمنتهى اللهفة :

ـ حقًّا ؟!

وتساءل (رمزى) ، فى انفعال مماثل :

ـ هل وجدت وسيلة ما ؟!

أجابتهما (نشوى) فى توتر شديد :

ـ ربما .. لقد قمت بتطوير هذا الجهاز ، الذى تستخدمه أمى ، بحيث يطلق حول المكان ذبذبات فائقة متغيِّرة ، وخلال دقيقتين ونصف على الأكثر ، سيمكنه أن يدرس موجات وذبذبات منطقة ما بين البعدين ، ويعمل على عكس تأثيرها ، خلال أربع دقائق أخرى على الأكثر ، و ...

استوقفتها شهقة قوية ، انطلقت من حلق (سلوى) ، قبل أن تهتف مذعورة :

ـ رباه ! هذا يعنى أننا نحتاج إلى ست دقائق ونصف الدقيقة .

أجابتها (نشوى) ، وقد ضاعفت الشهقة المباغتة من توترها :

ـ بالضبط ، ووفقًا لحساباتك ، ما زالت أمامنا إحدى عشرة دقيقة ، قبل مرحلة اللاعودة .

هتفت (سلوى) بكل عصبيتها :

ـ هذه بالنسبة لهما .

ثم انهار صوتها ، وهى تضيف :

ـ وليس بالنسبة للأرض .

امتقع وجه (نشوى) وهى تسألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

بدا صوت (سلوى) يائسًا ، بائسًا ، منهارًا ، وهى تجيب :

ـ لقد أبلغنى الدكتور (جلال) ، نفس ما أبلغته (مشيرة) لزوجك (رمزى) .. لقد استغل ذلك الآلى العملاق ، الذى يهاجمنا بكل هذه الشراسة ، الطاقة التى امتصها من أسلحة الدمار الشامل ، التى هاجموه بها ، ليصنع فجوة فى عالمنا ، تطلّ على ثقب أسود عملاق ، سوف يبتلع الأرض كلها ، خلال دقيقتين فحسب .

ارتجف جسد (نشوى) كله ، وهى تهتف :

ـ رباه ! مستحيل !

هزّت (سلوى) رأسها ، وهى تقول فى انهيار تام :

ـ إننا لم نخسر (نور) و(أكرم) فحسب يا (نشوى) .. لقد خسرنا المعركة كلها يا بنيتى .

وتمتم (رمزى) فى مرارة :

ـ للأسف !

امتقع وجه (نشوى) أكثر وأكثر ، ونقلت بصرها بينهما فى

شىء من الارتياع ، قبل أن تكتسب ملامحها صلابة مفاجئة ، وتقول بمنتهى الحزم والصرامة :

ـ فليكن .

نطقتها ، ثم اعتدلت تواجه جهازها ، واندفعت أصابعها تتقافز على أزراره ، بمنتهى الحزم والحسم ، فتساءلت (سلوى) فى حيرة :

ـ ماذا تفعلين ؟!

أجابتها (نشوى) فى صرامة :

ـ تمامًا مثل ما كان يمكن أن يفعله أبى ، فى الظروف نفسها .. سأواصل القتال حتى اللحظة الأخيرة .

اتسعت عينا (رمزى) فى انبهار ، وهو يتطلَّع إليها صامتًا ، فى حين انفرجت شفتا (سلوى) ، وخفق قلبها فى قوة ، وقد بدت لها ابنتها ، فى تلك اللحظة ، أشبه ما تكون بأبيها ..

وفى صمت ، ودون أن تعلِّق بحرف واحد ، اتخذت بدورها مجلسها أمام جهازها ، وتجاهلت الدقائق القليلة المتبقية ، وانطلقت تعمل ..

حتى آخر رمق ..

* * *

عجز (أكرم) لثلاث مرات متتالية عن ازدراد لعابه ، عبر حلقه الجاف ، بعد أن شاهد صورة تخيلية ، للمصير الذى ينتظر الأرض ، والمجموعة الشمسية كلها ، وهزَّ رأسه محاولاً أن ينطق بشىء ما .. أى شىء ، إلا أن جفاف حلقه ذاته منعه من هذا أيضًا ، فتمتم فى صوت متحشرج ، شديد الخفوت :

ـ لا .. لا يمكن أن يكون هذا هو المصير .

أما (نور) ، فقد استنفر كل إرادته وقوته ؛ ليهزم توتره وانفعاله ، وهو يسأل الآلى :

ـ لماذا عدت إلينا ؟!

أجابه الآلى ، بنفس هدوئه المستفز ، الخالى تمامًا من المشاعر :

ـ طغاة (روبوتاز) استخدموا تقنية ابتكرناها نحن ، منذ زمن ليس بالقصير ، ولكننا أحجمنا عن استخدامها ؛ لأنها تستهلك قدرًا هائلاً من الطاقة ، وتستنفد معظم مواردنا ، دون فائدة عملية كبيرة ، فالأمر يحتاج إلى إنتاج ما يعرف باسم الطاقة السلبية ، لدفع جسم ما ، عبر الزمان والمكان ، إلى نقطة بعينها فى الماضى .. وبالنسبة لهم ، كانت هذه فرصتهم الوحيدة والأخيرة ؛ لذا فقد استهلكوا كل طاقتهم بلا استثناء ؛ لإرسال ذلك الآلى المدمر إلى هنا .

قال (أكرم) ، فى حيرة متوترة :

ـ عجبًا ! هل دمروا أنفسهم ، لإرسال ذلك الآلى ؟!

أجابه (نور) :

ـ بالطبع يا صديقى ، فقد خسروا معركتهم بالفعل ، وألقوا ورقتهم الأخيرة ، فإذا ما نجحت لعبتهم ، ودمَّر ذلك الآلى العملاق كوكبنا ، ومجموعتنا الشمسية كلها ، فى زمن سابق لهزيمتهم ، فقد يعنى هذا موجة من التداعيات الإيجابية ، تؤمن لهم الانتصار على (تاينور) ، والانطلاق منه لاستكمال السيطرة على باقى كواكب الكون ، المأهولة بمخلوقات عاقلة متطوِّرة .

تساءل (أكرم) بمنتهى الحيرة :

ـ ولكن لماذا (س ـ 18) ؟! لماذا لم يرسلوا أى آلى آخر ؟!

أجابه الآلى هذه المرة :

ـ إنها آلات مفكِّرة يا سيِّد (أكرم) .. آلات لا تعرف العواطف أو المشاعر ، ولكنها تزن الأمور بميزان المنطق وحده دون سواه ، وعندما سقط (س ـ 18) لديهم ، عجزوا تمامًا عن شق جسده ، حتى باستخدام طاقة النجم (زيتا) ، التى يمكنهم بوساطتها تشكيل سبيكة (أليتماتا) ، التى تصوَّروا أنها أقوى وأصلب وأصلد مادة فى الكون ؛ لذا فقد أدركوا أنهم أمام تقنية أكثر تطوّرًا من تقنيتهم ، مما أثار قلقهم بشأن صانعيها ، الذين كانوا بالنسبة لهم سكان الأرض .

قال (نور) فى توتر :

ـ كان هذا فى أزمنة سحيقة للغاية ، وفى حضارة سادت الأرض ، منذ ملايين السنين على الأرجح ، ثم اندثرت وانتهت ، ولم تترك لنا سوى (س ـ 18) .

قال الآلى :

هذا ما تعرفه أنت أيها المقدَّم ، أما بالنسبة لآلات (روبوتاز) ، فهو مقاتل قادم من الأرض ، التى يجهلون كل شىء عنها ، باستثناء ما وجدوه أمامهم فيه .

تساءل (أكرم) فى عصبية :

ـ ألهذا استخدموه ؟!

هزَّ الآلى رأسه نفيًا ، قبل أن يجيب :

ـ استخدموا برنامجه فحسب .. بعد عجزهم عن شقه ، بكل ما لديهم من سبل ، فقد نجحوا فى توصيل أجهزتهم بأجهزته ، ونسخوا برامجه كلها ، بما فيها ذاكرته الآلية ، داخل ذلك الآلى العملاق ، الذى أرسلوه عبر الزمان والمكان ؛ ليقضى على الحضارة التى أقلقتهم ، والتى بدت وكأنها الوحيدة التى تفوقهم ، فى الكون كله .

ران صمت مهيب على المكان ، بعد عبارته الأخيرة ، وتبادل

(نور) و(أكرم) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن تدور عيونهما معًا إلى الفقاعة الكبيرة ، التى يبدو عليها العملاق الآلى ، وقد تجمَّد تمامًا فى مكانه ، وازداد تألُّقًا على نحو أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومن خلفه ، كانت تلك الفجوة الزمكانية ، التى تطلّ على ذلك الثقب الأسود العملاق تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

و ...

« إنك لم تجب سؤالى بعد .. »

نطقها (نور) بكل صرامة الدنيا ، فالتفت إليه الآلى فى انتباه ، جعله يستطرد بنفس اللهجة :

ـ لماذا عدت إلينا ؟!

أجابه الآلى فى هدوء :

ـ لأمنحكم فرصة المقاومة .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أية مقاومة ؟!

تجاهل الآلى سؤاله تمامًا ، وهو يتابع بنفس الهدوء :

ـ عندما أدرك سادتى ما فعله غزاة (روبوتاز) ، خشوا أن تفلح لعبتهم الأخيرة ، وأن ينجحوا فى إحداث موجة تغيير ، فى مجرى الزمن ، تؤدى إلى استعادتهم ما فقدوه ؛ لذا فقد استخدموا كل طاقة جبال البلّور ، لتمويل وشحن رحلة زمنية مكانية مزدوجة ؛ لتحذيركم ، وإنقاذ الأرض ومن عليها ، من المصير الرهيب الذى ينتظرها .

سأله (نور) فى قلق :

ـ أتعنى أن سادتك أيضًا يلعبون بورقتهم الأخيرة ؟!

أجابه الآلى فى اقتضاب :

ـ بالضبط .

تبادل (نور) و(أكرم) نظرة أخرى متوترة ، قبل أن يقول الأوّل فى سرعة وحزم :

ـ وما الذى تعنيه برحلة زمنية مكانية مزدوجة ؟!

أشار الآلى بيده ، قائلاً :

ـ لقد عدت إلى هنا ، ولدى ما يكفى لصنع وتوليد طاقة سلبية

جديدة ، تمنحكما فرصة العودة لنصف ساعة كاملة عبر الزمن ، إلى ما قبل هجوم الآلى العملاق .

تساءل (أكرم) متوترًا :

ـ وما الذى سيمكننا أن نفعله عندئذ ؟!

هزَّ الآلى رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لست أدرى .. برنامجى لا يتضمَّن الحلول .. إنه يتضمَّن منحكما الفرصة لهذا فحسب .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل تعنى أن هذه المركبة ، هى فى واقعها آلة زمن ؟!

هزَّ الآلى رأسه نفيًا مرة أخرى ، قائلاً :

ـ كلا .. إنها ليست كذلك .. تقنيتنا فى الانتقال عبر الزمكان ، تختلف عن التقنية التى تعرفونها فى عالمكم ، فنحن نطلق الطاقة السلبية بين الأبعاد ، وليس عبر الـ ..

بتر عبارته بغتة ، قبل أن تكتمل ، مع الأزيز القوى ، الذى انطلق من مكان مجهول فى المركبة ، واستدار إلى أحد الأجهزة المعقدة فيها ، قائلاً :

ـ لقد رصدنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين تساءل (أكرم) ، بكل قلق الدنيا :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار الآلى إلى الفقاعة ، التى بدا عليها نلك العملاق ، وهو يرفع عينيه إلى أعلى ، وقال بنفس الهدوء ، ودون أية انفعالات :

ـ الآلى الذى أرسله طغاة (روبوتاز) .. إننا نختفى فى برزخ بين بعدين ، وعلى الرغم من هذا فقد رصد وجودنا ، وأمكنه تحديد موقعنا .

سأله (نور) فى توتر :

ـ وماذا ينبغى أن نفعل ؟!

أجابه الآلى ، الشبيه بـ (س ـ 18) ، وهو يندفع نحو مجموعة أخرى من الأجهزة ، فى ركن المركبة :

ـ أن نعمل على إطلاق الطاقة السلبية فورًا ، لدفعكم عبر الزمن دون إبطاء .

هتف به (أكرم) :

ـ ألا يمكننا أن نعاونك ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يتحرَّك فى سرعة أكبر ، مجيبًا :

ـ كلا .. فى حالتكما الراهنة ، لن يمكنكما هذا أبدًا .

انعقد حاجبا (نور) أكثر ، فى حين تساءل (أكرم) فى عصبية :

ـ حالتنا الراهنة ؟! ماذا تعنى ؟!

لم يكن هناك وقت لإجابة السؤال ، فالآلى العملاق كان يرفع يديه نحو السماء ، فيما بدا وكأنه يوجههما نحو الفقاعة التى تنقل صورته مباشرة ..

وتحركت يدا الآلى أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع .

وإثر ضغطاته على عدد من الألواح والأزرار ، راحت جدران المركبة الفضائية تتألَّق ..

وتتألَّق ..

وتتألَّق ..

وانطلقت من أطراف أصابع الآلى العملاق موجة قوية ..

موجة تجاوزت الزمان ..

والمكان ..

والأبعاد ..

ومع مشهد انطلاقها ، توقَّف الآلى الشبيه بـ (س ـ 18) ، وغمغم :

ـ آه .. نفد الوقت .

ومع نهاية غمغمته ، وبسرعة خرافية ، ارتجَّت المركبة بقوة .

ثم انفجرت ..

بمنتهى العنف .

* * *

11ـ عد تنازلى ..

شدَّ مسئول الأمن قامتـه ، وهـو يـؤدى التحية العسكرية فـى قوة ، أمام رئيس الجمهورية ، الذى سأله فى مرارة واضحة :

ـ ما الذى وصلت إليه الأمور ؟!

أجابه مسئول الأمن ، فى توتر ملحوظ :

ـ تم نشر التحذير ، فى كل قـارات العالم يـا سيادة الرئيـس ، وخلال دقيقة واحدة ، سيكون الكل فى المخابئ النووية .

وصمت لحظة فى تردُّد ، قبل أن يضيف فى خفوت :

ـ تقريبًا .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول فى توتر أكثر :

ـ تقريبًا ؟!

أجابه مسئول الأمن فى عصبية :

ـ فى كل أنحاء العالم ، لا يبلغ حجم المخابئ النووية الحد الكافى ، لاستيعاب كل السكان ، و ...

هتف به الرئيس ، مقاطعًا :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

ارتبك مسئول الأمن ، وهو يغمغم :

ـ هذا يحدث ، فى كل أنحاء العالم يا سيادة الرئيس .

استدار الرئيس فى حركة حادة إلى رئيس الوزراء ، الذى انتابه ارتباك مماثل ، وهو يقول :

ـ لا أحد توقَّع موقفًا كهذا يا سيادة الرئيس .

صاح به الرئيس فى غضب :

ـ لهذا تحدث الكوارث دومًا .. لأنه لا أحد يتوقع حدوثها .

شحب وجه رئيس الوزراء ، وهو يقول :

ـ لسنا وحدنا من فعل هذا يا سيادة الرئيس .

ترك الرئيس جسده يسقط ، على أقرب مقعد إليه ، وهو يدفن وجهه بين كفيه ، قائلاً :

ـ أهذا ما ستخبر به الضحايا ، إذا ما التقيت بهم ، فى العالم الآخر يا رجل ؟!

لوَّح رئيس الوزراء بيده ، قائلاً :

ـ لو أن تقديرات رجال مركز الأبحاث العلمية سليمة ، فسيعنى هذا أنه لن يكون هناك فارق يا سيادة الرئيس .. كلنا سنفنى فـى الكارثة .. كل ما فى الأمـر أن أولئك الذين لـم يجدوا مكانًا فـى المخابئ النووية ، سيذهبون أوَّلاً .

رفع الرئيس عينيه إليه ، قائلاً فى غضب :

- أهكذا ترى الأمور ؟!

قال رئيس الوزراء فى عصبية :

- هكذا تبدو الأمور يا سيِّدى .

مطَّ الرئيس شفتيه ، قائلاً :

- يا للسخافة !

ثم أشار بسبَّابته إلى رئيس الوزراء ، مستطردًا :

- اسمع يا رجل .. لو تجاوزنا هذه الأزمة ، بمعجزة من السماء ، أريدك أن تقدم لى استقالة وزارتك فورًا .. هل تفهم ؟!

امتزج الغضب بالصدمة ، فى وجه رئيس الوزراء ، وهو يغمغم :

- فليكن يا سيادة الرئيس .. فليكن .

وعاد كلاهما يدير عينيه إلى شاشات الرصد ، ليتابع التفاصيل ..

تفاصيل الكارثة ..

الرهيبة ..

* * *

فجأة ، دوت تلك الفرقعة ..

فرقعة قوية ، عنيفة ، دوت فى نفس البقعة ، التى اختفت فيها سيارة (نور) براكبيها ..

ومع دويها ، هبطت موجة تضاغطية عنيفة .

موجة أطاحت بـ (رمزى) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ..

وبكل الأجهزة ..

بلا استثناء ..

وبكل رعب الدنيا ، وبينما تهب رياح ساخنة عجيبة على وجهها ، وتجبرها على إغلاق عينيها بقوة ، هتفت (نشوى) :

- ماذا حدث ؟!

كانت (سلوى) تتشبَّث بالأرض ، وتقاوم فى محاولة للنهوض ، وهى تقول فى ارتياع :

- هل .. هل ارتكبنا خطأ ما ؟! هل ..

قاطعها (رمزى) ، وهو يهتف بانفعال مبحوح :

- انظر .. يا إلهىَ !

فتحت كلتاهما عينيها ، على الرغم من الغبار المحيط بثلاثتهم ، وشهقت (سلوى) ، هاتفة :

ـ رباه ! (نور) .. (أكرم) .

وقبل حتى أن يكتمل هتافها ، كانت (نشوى) تهب من سقطتها ، وتندفع بكل قوتها وانفعالها ، نحو سيارة (نور) ، التى عادت إلى الظهور ، فى نفس الموقع الذى اختفت عنده ..

وبكل لهفة الدنيا ، لحق بها (رمزى) و(سلوى) ..

كان (نور) و(أكرم) يجلسان داخل السيارة جامدين ..

ثابتين ..

باردين كالثلج ..

كانا يبدوان وكأنهما قد تلقيا صدمة عنيفة ..

صدمة بين الزمان والمكان ..

وفى ارتياع تام ، هتفت (سلوى) :

ـ حرارتهما منخفضة للغاية .. نريد أغطية .. الكثير من الأغطية ..

هتفت بها (نشوى) :

ـ دعونا ننقلهما من هنا أولاً .. لقد سمعتما مثلى ذلك التحذير ، الذى أطلقوه فى العالم كله .. لابد وأن نحتمى بأحد المخابئ النووية .

صاحت (سلوى) ، وهى تحاول انتزاع (نور) من مقعده :

ـ فلننقلهما إلى المخبأ الخاص ، فى قبو المنزل .. لن نجد الوقت الكافى ، للذهاب إلى أى مخبأ نووى .. ليست أمامنا سوى دقيقة ونصف الدقيقة فحسب ، قبل أن يبدأ ذلك الثقب الأسود فى جذبنا .

هتف (رمزى) ، وهو يعاونها على حمل (نور) ، الذى بدا جامدًا ، كتمثال من الثلج :

ـ لو كان هذا كل ما تبقَّى لنا ، فما فائدة ما نفعله .

صاحت (نشوى) فى عصبية :

ـ تذكَّر القاعدة .. سنقاتل حتى آخر رمق .

غمغم ، وهو ينتزع (نور) من مقعده داخل السيارة بالفعل :

ـ بالتأكيد .

بدت الكلمة باهتة ومشوَّشة ، فى أذنى (نور) ، الذى اختلط الزمان بالمكان فى ذهنه ، على نحو عجيب ..

كان يرى نفسه هناك ..

تحت سماء (تاينور) الحمراء ..

كان يقاتل ..

ويقاتل ..

ويقاتل ..

عشرات الآليين يحاصرونه ..

ويطلقون عليه نيرانهم ..

وبمنتهى الكثافة ..

وفى استماتة ، راح هو يطلق النيران ..

وحزم الأشعة ..

والقنابل البلّورية ..

وبكل قوته ، راح يعدو بين كتل الصخور السوداء ..

ويعدو ..

ويعدو ..

ويعدو ..

ومن حوله ، أصابت حزمة إشعاعية صخرة ضخمة ..

ودوى انفجار مكتوم ..

وتطايرت الصخور السوداء من حوله ..

تطايرت ..

وتطايرت ..

وتطايرت ..

وارتطمت واحدة من الصخور بظهره ..

وثانية بفخذه ..

وثالثة بمؤخرة رأسه ..

وشعر بالدماء تسيل منه فى غزارة ..

وحاول أن يعدو بسرعة أكثر ..

حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ودوى من حوله انفجار ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

ثم ظهر ذلك الفريق الآخر من الآليين ..

لقد كان فخًا !

خدعوه ، وجذبوه إلى هذه المنطقة الخاوية ..

ثم حاصروه ..

وأمطروه بنيرانهم ..

ولكنه لن يستسلم أبدًا ..

سيقاتل ..

ويقاتل ..

و ...

ودوى الانفجار الخامس ..

دوى بين قدميه مباشرة ..

وكانت الآلام رهيبة ..

و ...

« لا .. ليس (نور) !! »

هتف (أكرم) بالكلمة ، وجسده كله ينتفض فى عنف ، ويثب خارج جموده تمامًا ، على نحو جعل (نشوى) تطلق شهقة قوية ، هاتفة :

ـ (أكرم) .

استعاد نشاطه كله دفعة واحدة ، ووثب خارج السيارة بخفة مدهشة ، وهو يهتف فى ذعر وهلع :

ـ (نور) .. كيف حال (نور) ؟!

هتف به (رمزى) :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (أكرم) .

صاح به (أكرم) ، وهو يندفع نحو (نور) :

ـ كيف هو ؟!

أجابته (سلوى) ، وجسدها كله يرتجف انفعالاً :

ـ جامد بارد ، كتمثال من ثلج .

هتف (أكرم) ، وهو يلتقط (نور) ، من بين ذراعى (رمزى) و(سلوى) :

ـ رباه ! ترى هل ..

لم يتم عبارته ..

ولم يكن لديه ما يتمها به ..

كل ما دار بخلده هو أن (نور) يواجه خطرًا ما ..

خطرًا ولد بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

جـدًا ..

فبوسيلة ما ، لم يكن لها أى تفسير علمى منطقى ، شاهد عقله نفس ما عاشه عقل (نور) ..

الفخ ..

والحصار ..

والانفجارات ..

و ...

« لا .. ليس (نور) !! »

كرَّرها (أكرم) فى توتر بالغ ، فهتفت به (سلوى) :

ـ ماذا أصابه يا (أكرم) ؟!

أرقده (أكرم) أرضًا ، وراح يدلك صدره وكفيه فى سرعة ، وهو يقول بكل توتره :

ـ لست أدرى ، ولكن يبدو أن طغاة (روبوتاز) يريدون أن يكرروا هنا ، ما فعلوه به هناك .

تفجَّرت دهشة بالغة فى وجوههم وأصواتهم ، وهم يهتفون معًا :

ـ طغاة ماذا ؟!

مرة أخرى ، بدت الكلمات باهتة شاحبة ، فى ذهن (نور) ، وعقله يعانى من نفس الذكريات المتخبِّطة المضطربة ..

هناك شىء ما غير منطقى ، فيما قصه ذلك الآلى ، الشبيه بـ (س ـ 18) ..

شىء ربما لم يدركه عقله الواعى فى حينه ..

ولكنه استقر هناك ..

فى أعمق أعماق عقله الباطن ..

شىء لم يتفق مع كل ما حدث ..

أو أنه يتفق تمامًا ، مع ما ينبغى فعله ..

شىء ينبغى أن يستخرجه من أعمق أعماقه ..

وأن يدركه ..

وينتبه إليه ..

شىء ربما يتوقف عليه مصير الأرض ..

بل مصير المجموعة الشمسية كلها ..

شىء ما هناك ..

فى رواية الآلى ..

فى أعمق أعماقه ..

وبسرعة خرافية ، وبينما اشترك (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) فى تدليك أطرافه ، كمحاولة لإخراجه من ذلك الجمود الثلجى ، كان عقله يعمل ..

ويعمل ..

ويعمل ..

كان يسترجع كل لحظة ..

كل جملة ..

كل كلمة ..

وكل حرف ..

هناك ثغرة ما ، فى قصة الآلى ..

فالمفترض أن ذاكرتهما ، (أكرم) وهو ، ستنتقل إلى مقاتلى (تاينور) فى المستقبل ..

وعلى الرغم من هذا ، فعقله يحمل بعض الذكريات ..

ذكريات يفترض أنها لم تحدث بعد !

ذكريات غامضة !

مبهمة !

وحائرة ..

ولكن ربما يكون هذا بتأثير تلك الفقاعة الذهبية ، التى أطلقها شبيه (س ـ 18) نحو عقله ..

ربما كانت مخزنًا للذاكرة ، على نحو أو آخر ..

وسيلة ، نقلت إليه ذاكرة شبيهه المستقبلى ..

وسيلة لم تعرفها الأرض بعد ..

وربما لا تعرفها أبدًا ..

ولكن هناك حتمًا شىء آخر ..

شىء يخص الآلى العملاق ..

ومصير الأرض ..

و ...

فجأة ، انتفض جسده بمنتهى العنف ..

وتوقّفت أفكاره دفعة واحدة ..

وانطلقت من حلقه شهقة ..

شهقة قوية ، أعادت إليه وعيه ، وجعلته يعتدل بحركة حادة ، متسائلاً ، وكأنه لم يغب لحظة واحدة :

ـ كم تبقّى من الوقت ؟!

كان استيقاظه على هذا النحو المباغت ، مدهشًا للجميع ، وعلى الرغم من هذا فقد أجابته (سلوى) بفرحة عارمة :

ـ دقيقة وسبع ثوان .

كانت فرحتها عجيبة ، ومتناقضة تمامًا مع ضيق الوقت ، المتبقى على بدء فناء كوكب الأرض ، والمجموعة الشمسية كلها ، إلا أن أحدًا لم يشعر بهذا قط ، وبالذات (نشوى) ، التى هتفت فى سعادة :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا أبى .

وثب (نور) واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى صرامة وانفعال :

ـ كم نحتاج من الوقت ، لبلوغ طرف المدينة ، حيث ذلك الآلى العملاق ؟

أجابته (سلوى) فى توتر :

ـ دقيقة ونصف الدقيقة يا (نور) ، بافتراض أنك ستنطلق بالسرعة القصوى ، عبر شوارع خالية تمامًا ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، كان يثب إلى مقعد القيادة ، فتبعه (أكرم) بحركة آلية ، واتخذ المقعد المجاور له ، وهو يسأله فى توتر :

ـ ماذا يدور فى ذهنك ؟!

لم يجب (نور) تساؤله ، وهو يهتف بزوجته وابنته و(رمزى) :

ـ أسرعوا إلى المخبأ الخاص ، فى قبو المنزل .. تأكدوا من إغلاق كل المنافذ ، ومن أن (محمود) و(طارق) الصغيرين بخير .

صاحت به (سلوى) :

ـ إلى أين يا (نور) ؟!

أجابها ، وهو ينطلق بالسيارة بالفعل :

ـ إنها محاولة أخيرة .. محاولة من أجل الأرض .

قالها ، وانطلق بسيارته ، بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها الصاروخية ، مخلفًا خلفه فرقعة قوية ..

وتساؤلاً قويًّا !

ترى أهناك بالفعل أمل فى النجاة ؟!

أى أمل ؟!

* * *

12- الدقائق الأخيرة ..

دقيقة واحدة تبقت ، قبل بداية الفناء ..

هكذا أشار البرنامج الدقيق الجديد ، الذى تم تزويد الآلى العملاق به ..

وهكذا بدأ المرحلة الأخيرة من الخطة ، التى قطع مسافة هائلة ، عبر الزمان والمكان لتنفيذها ..

ولأن الوقت لم يعد يكفى للتراجع ، فقد أوقف سطوعه الشديد ، الذى راح يقلّ ..

ويقلّ ..

ويقلّ ..

ثم انعدم تمامًا ..

ومن خلفه ، بدت تلك الفجوة العملاقة فى الهواء ..

الفجوة التى يبدو عبرها ذلك الثقب الأسود الكبير ، الذى يسبح وسط فضاء سرمدى ، ويجذب إليه كل ما حوله ، فى شراهة مخيفة ..

ومن أسفل قدمى الآلى العملاق ، انطلقت دوّارتان حلزونيتان ، تثبتانه بالأرض فى قوة ..

فوفقًا لبرنامجه ، كان عليه أن يبقى لحماية الفجوة ، حتى اللحظة الأخيرة من المهمة ..

اللحظة التى ينتهى فيها الثقب الأسود من جذب كل ما هو غير مثبت على الأرض ، ويبدأ المرحلة التالية ..

مرحلة جذب الأرض نفسها ..

والعجيب أنه على الرغم من برنامجه الدقيق ، الذى يقوم بتنفيذه بمنتهى الدقة والإتقان ، كان الآلى العملاق يعانى من اضطراب ما فى ذاكرته ..

اضطراب يتردَّد ما بين اعتبار الأرض كوكبًا صديقًا ..

أو عدوًا ..

إنه يهاجمه ..

ويقاتله ..

ويسعى لتدميره ..

وسحقه ..

وإفنائه تمامًا ..

ولكن جزءًا ما من ذاكرته ، ما زال يحمل عنه ذكريات هادئة ..

ودود ..

وصديقة ..

ولكنها منزوية فى مكان ما ..

مكان مظلم ..

وعميق ..

للغاية ..

وهناك برنامج آخر قوى ، يسعى لحجب تلك الذكريات القديمة طوال الوقت ، ودون انقطاع ..

وكرجل آلى ، كان عليه أن ينفذ برامجه ..

بمنتهى الطاعة ..

والدقة ..

والحسم ..

وأن يُفنى الأرض بكل ما عليها ..

ومن عليها ..

ومن حوله ، ومع بدء تأثير الثقب الأسود ، بدت عواصف من الغبار تهب فى كل مكان ..

وراح كل شىء ينجذب نحو الفجوة ..

الغبار ..

والسحب ..

وقطرات المطر ..

وداخل مبنى (أنباء الفيديو) ، وفى جمود تام ، راحت (مشيرة) تسجّل كل ما يحدث ..

كل لمحة ..

كل دقيقة ..

وكل ثانية ..

كانت تدرك تمامًا أن النهاية آتية لا ريب ، وأن ذلك الثقب الأسود سيبتلع كل شىء فى آخر الأمر ..

حتى مبنى (أنباء الفيديو) نفسه ..

ولكنها راحت تؤدى واجبها ..

حتى اللحظة الأخيرة ..

وفى صمت وجمود ، جلست تتابع شاشات الرصد ، وتسجل كل ما تراه ، فى مهارة حرفية مدهشة ..

مهارة لم تفسدها الصدمة قط ..

أصابعها كانت تنتقى زاوية التسجيل المناسبة ، لتنقل كل تفاصيل الموقف ، إلى الأسطوانات الرقمية المدمجة ..

الفجوة واتساعها ..

عواصف الغبار ..

السحب المتكاثفة ..

الأمطار المباغتة ..

ومع كل هذا ، كانت تسجل فى ركن الشاشة التاريخ والساعة والدقيقة ..

وحتى الثانية ..

كل هذا دون أن تدرك أنه قد تبقت ست وخمسون ثانية فحسب ، على لحظة الصفر ..

وأن الوقت يتناقص ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

بمنتهى السرعة ..

« لن يمكننا أن نصل فى الوقت المناسب يا (نور) .. »

هتف (أكرم) بالعبارة فى توتر ، و(نور) ينطلق بسيارته بأقصى سرعة ، وسط العواصف والرياح القوية ، عبر الشوارع الخالية ، حتى من رجال الأمن والجيش ، فصاح به هذا الأخير :

ـ لابد وأن نقاتل يا صديقى .. لابد وأن نقاتل ، حتى آخر لحظة .

هتف (أكرم) ، وهو يستل مسدسه ، الذى يشعر مع ملمسه بالأمان :

ـ إننا لن نخسر شيئًا ، فى كل الأحوال .

ثم لوَّح بالمسدس ، مضيفًا :

ـ أعنى أننا لن نخسر أكثر مما يمكن أن نخسره .

هتف به (نور) ، وهو ينحرف فى الطريق بسرعته القصوى :

ـ بالضبط .

كادت السيارة الصاروخية تفقد توازنها ، مع سرعة الدوران الرهيبة ، لولا مهارة (نور) الفائقة ، وقدرته المدهشة على التحكم فى عجلة وأزرار القيادة ، فهتف (أكرم) :

ـ احترس يا (نور) .

صاح به (نور) ، وهو يضغط دوَّاسة الوقود أكثر ، على الرغم من أن السيارة تنطلق بسرعتها القصوى بالفعل :

ـ الوقت يمضى بسرعة يا (أكرم) .. مصير الأرض كله أصبح معلقًا ببضع ثوان .

تراجع (أكرم) فى مقعده بشحوب ، وهو يغمغم :

ـ ولكننا لن نصل فى الوقت المناسب أبدًا .

كرَّر (نور) بمنتهى الحزم :

ـ لابد وأن نقاتل حتى آخر رمق يا صديقى .

التصق (أكرم) بمقعده ، والسيارة تواصل انطلاقها بسرعتها القصوى ، عبر شوارع العاصمة الخالية ، فى طريقها إلى حيث استقر ذلك الآلى العملاق ، ثم لم يلبث أن تساءل :

ـ ألديك فكرة بعينها يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالطبع .

سأله بمنتهى اللهفة :

ـ وما هى ؟!

أجاب (نور) ، وهو ينحرف بسيارته مرة أخرى ، فى طريق جانبى ، يختصر المسافة كثيرًا :

ـ لو أن طغاة (روبوتاز) قد استخدموا برنامج (س ـ 18) الكامل ، لتغذية هذا الآلى العملاق ، ولضمان قدرته على بلوغ الهدف ، المسجَّل فى ذاكرته بالفعل ، فهذا يعنى أنه ، ومن الناحية الفعلية ، وعلى الرغم من شكله الظاهرى المخيف ، يعتبر نسخة طبق الأصل من (س ـ 18) نفسه .

غمغم (أكرم) فى حيرة :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

انفرجت شفتا (نور) ، ليجيب تساؤل (أكرم) ، وهو ينحرف فى شارع آخر ، و ...

وفجأة ، ظهر ذلك الحاجز أمامه ..

حاجز يحمل شعار دائرة الأمن ، تركه الرجال خلفهم ، قبل أن يغادروا العاصمة مع أقرانهم ..

وكان من المستحيل أن تتوقف السيارة فى الوقت المناسب ، وهى تنطلق بهذه السرعة الرهيبة ..

وبكل ذعره ، صرخ (أكرم) :

ـ احترس يا (نور) .

وبحركة آلية ، ضغط (نور) فرامل سيارته ..

وانطلقت الصواريخ الكابحة السفلية ..

ولكن السيارة واصلت اندفاعها لعدة أمتار ، بفعل القصور الذاتى(*) ..

وارتطمت بالحاجز ..

ارتطمت ، ووثبت فى الهواء بمنتهى العنف ..

وفى مشهد رهيب ، بدت سيارة (نور) أشبه بحوّامة هوائية ، طارت لعشرة أمتار كاملة ، قبل أن تهوى مرتطمة بأرض الشارع ، بمنتهى العنف ..

وعلى الرغم من أن وسائد الوقاية الهوائية قد تمدّدت وانتفخت كلها فى تلقائية ، لتحيط بجسدى (نور) و(أكرم) ، إلا أن الاصطدام بدا عنيفًا للغاية ، حتى إن كليهما قد شعر بآلام مبرّحة ، تنتشر فى كل مكان من جسده ، قبل أن يهتف (أكرم) :

ـ رباه ! لقد نجونا .

حلّ (نور) حزام مقعده فى سرعة ، وضغط زر إخلاء الهواء من وسائد الوقاية ، ثم وثب خارج السيارة ، هاتفًا :

ـ وما الفارق ؟! ما زال الوقت يمضى أسرع مما ينبغى .

(*) القصور الذاتى : خاصية للمادة ، تسعى للحفاظ على الجسم الساكن فى حالة سكون ، أو دفع الجسم المتحرك لاستمرار الحركة ، فى خط مستقيم وقوانينها مشتقة من قانون (نيوتن) الأوّل للحركة .

قالها ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى سبع وعشرين ثانية فحسب ، قبل بدء النهاية ، ولحق به (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ ألا يمكننا أن نستعين بأية سيارة أخرى ؟!

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ كلا للأسف يا صديقى .. هذا أحد عيوب التكنولوجيا المتقدّمة التى تبغضها .. السيارات الحديثة كلها لا يمكنها أن تعمل ، إلا بالبصمة الجينية لأصحابها فقط ، كوسيلة لتأمينها وحمايتها .

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً فى عصبية :

ـ كنت على حق فى بغضى لها إذن .

كانت العواصف العنيفة تحيط بهما من كل جانب ، وعوامل الجذب تبدأ عملها بالفعل ، فهتف (نور) :

ـ فليكن .. ليست لدينا ثانية واحدة نضيّعها .

قالها ، وانطلق يعدو بكل قوته ..

وانطلق (أكرم) إلى جواره ..

وعلى الرغم من انطلاقهما بأقصى سرعتهما ، كان الوقت يمضى على نحو مخيف ..

عشرون ثانية تبقَّت ..

تسـع عشرة ..

ثمانى عشرة ..

سـبع عشرة ..

ومعامل التجاذب يتزايد ..

ويتزايد ..

ويتزايد ..

ومع تزايده ، تضاعف عنف العواصف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

الحصى والأحجار الصغيرة راحت تتطاير ، وتندفع نحو الفجوة الكبيرة ، وهى تضرب جسديهما فى مواضع شتى ..

ثم انضمت إليها بعض القطع الصغيرة ..

وصناديق القمامة ..

واللافتات الدعائية ..

كل هذه الأشياء راحت تنطلق نحو الفجوة ..

ثم تعبرها إلى فضاء لا نهائى ..

وبعدها تغوص فى قلب ذلك الثقب الأسود العملاق ..

تغوص إلى الأبد ..

وبلا رجعة ..

وفى يأس عارم ، صرخ (أكرم) :

ـ لن ننجح يا (نور) .. لن ننجح أبدًا .

كانت عوامل الجذب تنتزعهما من مكانهما أيضًا ، والعواصف من حولهما تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

وحاول (نور) أن يتشبَّث بما حوله ..

أن يتمسَّك بأى شىء ..

أو أن يثبت قدميه فى الأرض ..

وبأى ثمن ..

ولكن عوامل الجذب راحت تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

والفجوة تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

وفى مقر (أنباء الفيديو) ، بدا أن مواصلة تسجيل ما يحدث أمر عبثى للغاية ..

فعواصف التراب والغبار والحصى تخفى كل شىء ..

حتى العملاق الآلى ..

والفجوة من خلفه ..

وعلى الرغم من هذا ، ظلت (مشيرة) جالسة ..

جامدة ..

تواصل عملها بلا انقطاع ..

وفى المخبأ الخاص ، أسفل منزل (نور) رصدت (سلوى) تلك الصورة الرهيبة فى الخارج ، وغمغمت فى اضطراب شديد :

ـ رباه ! الأمور تسوء للغاية .. ساعدهما يا إلهى ! ساعدهما يا إلهى !

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، فى حين حدَّقت (نشوى) فى الساعة الرقمية الكبيرة على الجدار ، وقلبها يخفق بمنتهى العنف ..

تسع ثوان فحسب تبقت ، قبل لحظة الانهيار ..

ثمان ..

سبع ..

ست ..

ومن الواضح أن خطة والدها ، أيًا كانت ، لم تفلح أبدًا ..

وأن الأرض ستواجه مصيرها المحتوم فى النهاية ..

الفناء ..

الفناء التام ..

فقد تبقت ثلاث ثوان ..

ثانيتان ..

ثانية واحدة ..

وانتفضت قلوب الثلاثة بمنتهى العنف ..

لقد انتهى الوقت ..

وبدأت لحظة النهاية ..

وهناك ، فى الخارج ، وعلى الرغم من العواصف والرياح ، التى بلغت ذروتها ، دوت فرقعة قوية ، تعلن بدء الفناء ، ثم راح كل شىء يندفع نحو الفجوة الكبيرة ..

السيارات ..

والحافلات ..

وحتى (نور) ..

و(أكرم) ..

وبكل قوته ، تشبَّث (أكرم) بعمود إنارة قوى ، وهو يصرخ :

ـ تشبث بأى شىء .. أى شىء يا (نور) .

انطلقت صرخته ، ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، بكل رعب الدنيا ..

فأمامه مباشرة ، عجز (نور) عن التشبُّث بأى شىء ، وانتزعته قوة الجذب من مكانه انتزاعًا ، ليندفع جسده بأقصى سرعة نحو طرف العاصمة ..

نحو الفجوة ..

والثقب ..

الثقب الأسود العملاق .

وبالنسبة لـ (أكرم) ، كانت هذه هى النهاية ..

النهاية الحقيقية .

* * *

13ـ الختـــام ..

كل شىء انهار دفعة واحدة ..

كل شىء على الإطلاق ..

وعلى كل شاشات الرصد ، بدت النهاية واضحة ..

نهاية كوكب الأرض ..

والمجموعة الشمسية كلها ..

واتسعت كل العيون ، فى رعب ما بعده رعب ..

عيون الرئيس ومعاونيه ..

والقائد الأعلى ، ورئيس مركز الأبحاث العلمية ..

ووزير الدفاع وقادته ..

و(رمزى) و(سلوى) و(نشوى) ..

الكل أدركوا أنها البداية ..

بداية الفناء ..

التام ..

وبالنسبة لـ (نور) ، كانت النهاية عنيفة رهيبة ..

لقد انتزعته قوة جذب الثقب الأسود من مكانه ، وطار جسده فى الهواء ، واتجه نحو الفجوة الرهيبة ، فى سرعة مخيفة ..

ولأنه رجل علمى ، وقائد لفريق من العلميين ، كان يدرك تمامًا ما ينتظره من مصير ..

سيندفع جسده عبر الفجوة ، إلى منطقة من الفضاء السرمدى ، تبعد فعليًا ملايين السنين الضوئية عن كوكب الأرض ..

منطقة خاوية ..

باردة ..

فارغة ..

ومع انتقال جسده المباغت ، من جو الأرض إلى الفراغ ، ستتجمد أطرافه ، ويختل توازن الضغط فى جسده ، و ...

وينفجر ..

نعم .. سينفجر جسده فى الفراغ كبالون كبير ، مع فارق الضغط الرهيب بين داخله ، والفراغ المحيط به ..

ويا لها من نهاية بشعة !

نهاية سيتشتت بعدها جسده لحظة ، ثم تنجذب خلاياه وأشلاؤه كلها نحو الثقب الأسود ، الذى سيبتلعها ويفنيها ..

إلى الأبد ..

وليس هناك مهرب من هذا ..

ليس هناك سوى أمل واحد ..

أمل يتعلق به ..

بـ (س ـ 18) ..

وبكل قوته ، وعلى الرغم من جسده ، الذى يطير فى الهواء ، متجهًا نحو الفجوة مباشرة ، صرخ (نور) :

ـ النجدة يا (س ـ 18) .. أوقف كل هذا .. أنقذ الأرض .. أنقذ الأرض يا (س ـ 18) .

أطلق صرخته ، ثم أغلق عينيه ، واستسلم تمامًا لمصيره المحتوم والرهيب ..

ولكن أجهزة الآلى العملاق الدقيقة التقطت الصرخة ..

واستوعبتها ..

وسجلتها فى أعمق أعماق برامجه ..

وهنا حدث أمر عجيب ..

فالصوت كان له مخزون هام جدًا ، فى الذاكرة القديمة للآلى العملاق ..

فى أعمق أعماق برنامجه الأصلى ..

وبسرعة مذهلة ، راح برنامج الآلى العملاق يستعيد كل ذاكرته القديمة المختزنة ..

الذاكرة التى تسللت إلى أجهزته الجديدة ، مع كل برامج (س ـ 18) القديمة ..

كل هذا ، وجسد (نور) يندفع نحو الفجوة ..

ويندفع ..

ويندفع ..

ومع سرعة الاندفاع ، وكل ما يحيط به من عواصف وغبار ، كان صدره يعجز عن التقاط أنفاسه ، فراح يلهث ..

ويلهث ..

ويلهث ..

وجسده يقترب من الفجوة..

ويقترب ..

ويقترب ..

ولم يعد هناك أدنى أمل فى النجاة ، و ...

وفجأة ، اعتدل الآلى العملاق ، وانطلقت من برنامجه عبارة صوتية واحدة ، مسجّلة بكل لغات الكون :

ـ (س ـ 18) فى خدمتك يا سيِّدى .

ولم يسمع (نور) العبارة ..

ولكن أجهزة (مشيرة) التقطتها ..

وعندما تردَّدت فى المبنى الخالى ، انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، وتجاوزت صدمتها وجمودها ، وهى تهتف ، فى مزيج من الدهشة والفرح :

ـ (س ـ 18) ؟!

وقبل حتى أن ينتهى هتافها ، كانت يد (س ـ 18) تتحرك فى سرعة مدهشة ، لتلتقط جسد (نور) فى الهواء ..

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (نور) ..

لقد التقطته يد الآلى العملاق ، ثم مال بجسده الهائل ، ليدفعه داخل أحد المبانى العسكرية الصغيرة ، فى أطراف العاصمة ، كوسيلة لحمايته مما يحدث ، قبل أن يعتدل مرة أخرى ، مكررًا :

ـ (س ـ 18) ، فى خدمتك يا سيِّدى .

فبالنسبة إليه ، كان قد نفذ القسم الأول من صرخة سيِّده ،

وأنقذه مما يحدث ، وعليه أن ينفذ القسم الثانى من أوامره ..

أن يوقف ما يحدث ..

وينقذ الأرض ..

ومن موقعه ، ومع العاصفة العاتية ، التى تخفى كل شىء ، كان من المستحيل أن يرى (نور) ما يحدث ..

بل ومن المستحيل أن تراه أية شاشات رصد أخرى ..

كل ما سجله الكل ، هو فرقعة أخرى قوية ، وصوت أشبه بصواريخ تنطلق ..

ذلك الصوت الذى بلغ مسامع (أكرم) ، وهو يهتف فى غضب :

- فليكن .. إنك لن تذهب وحدك يا (نور) .. لن تذهب وحدك يا صديقى .

قالها ، وهو يتخذ قرارًا حاسمًا ، ويفلت عمود الإنارة الذى يتشبَّث به ، فاندفع جسده عاليًا ، و ...

وفجأة ، دوت فرقعة أكثر عنفًا ..

وتوقَّفت عملية الجذب بغتة ..

وبدون سابق إنذار ، هوى جسد (أكرم) ، وارتطم بالأرض فى عنف ..

ومن حوله ، تساقطت عشرات الأشياء ..

تساقطت على نحو مخيف ، جعله يضمّ ساقيه إلى صدره ، ويحمى رأسه بذراعيه ، وكل شىء يتساقط من حوله ..

ويتساقط ..

ويتساقط ..

ثم هدأ كل شىء بغتة ..

سقوط الأشياء ..

والأمطار ..

والعواصف ..

والغبار ..

فجأة ، عادت الشمس تسطع فى السماء ..

وانقشعت السحب ..

وانتهى كل شىء ..

ولثوان ، ظلّ (أكرم) منكمشًا فى مكانه ، وكأنما لم يصدق ما حدث ، ثم لم يلبث أن نهض ، وأدار عينيه فيما حوله فى ذهول ، قبل أن تنتابه فرحة غامرة ، وهو يصرخ :

- رباه ! لقد نجونا .. لقد فعلتها إذن .. فعلتها يا (نور) .

وداخل مبنى (أنباء الفيديو) اتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهى تحدق فى شاشات الرصد ، التى تؤكد أن كل شىء قد عاد إلى ما كان عليه ، ثم صرخت فى انفعال :

ـ يا إلهى ! لقد فعلتها .. لقد فعلتها مرة أخرى .. لقد سجلت سبقًا صحفيًا مذهلاً .. لقد فعلتها .. لقد ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدق فى إحدى شاشات الرصد ، التى بدت واضحة صافية تمامًا ، بعد أن انقشعت عواصف الغبار ..

وظهر عليها مشهد عجيب ..

عجيب للغاية ..

نفس المشهد ، الذى رآه (نور) ، وهو يغادر ذلك المبنى ، الذى أخفاه داخله الآلى العملاق ..

ساقان آليتان عملاقتان ، مثبتتان فى الأرض ، وسط الأطلال القديمة ، وقد اختفى من فوقهما جسم الآلى العملاق ..

اختفى تمامًا ..

ولأن شاشات الرصد كلها قد عجزت عن تسجيل ما حدث ، لم يكن من الممكن أبدًا معرفة كيف انتهى الأمر ..

كيف أغلقت الفجوة الرهيبة ؟!

أو أين ذهب الآلى العملاق ؟!

الشىء الوحيد ، الذى سجلته أجهزة (أنباء الفيديو) ، هو تلك العبارة الوحيدة ، التى ينطقها (س ـ 18) دومًا ..

لذا فستظل العبارة ، مع الساقين الآليتين ، أشبه بنصب تذكارى غامض ، يروى قصة ، ما زالت تحوى عشرات الأسئلة ، التى ربما تظل إلى الأبد مجهولة الأجوبة ..

أو إنها قصة لم تكتمل بعد ، ولم تكتب فصولها الأخير ، حتى هذه اللحظة !!

قصة آلى ، صنعته حضارة قديمة ، منذ ملايين السنين ؛ لينقذ الأرض فى حاضرها ومستقبلها ..

آلى لا يزال جسده الأصلى يرقد بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

آلى يحمل رمزًا خاصًا للغاية ، واسمًا فريدًا ، لن ينساه أهل الأرض أبدًا ..

اسم (س ـ 18) .

* * *

تمت بحمد الله



روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

س - 18

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سرى جدًا !!

- خطر أتى ، من أعماق الفضاء ؛ ليغزو عالمنا ...
- كل قوات الأرض عجزت عن صدّه ، أو مقاومته ، حتى نور وفريقه ..
- الوسائل فشلت ، ولم يعد أمام كوكبنا إلا الفناء ، أمام قوة لا قِبَل له بها .
- ولكن قبل الفناء ، برز الأمل فى شىء واحد ، بعد اللّه سبحانه وتعالى ..
- فى شخص آلى ..
- شخص يدعى (س - ١٨) ...

15



الثمن فى مصر 400 مـ
أو ما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية

